موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

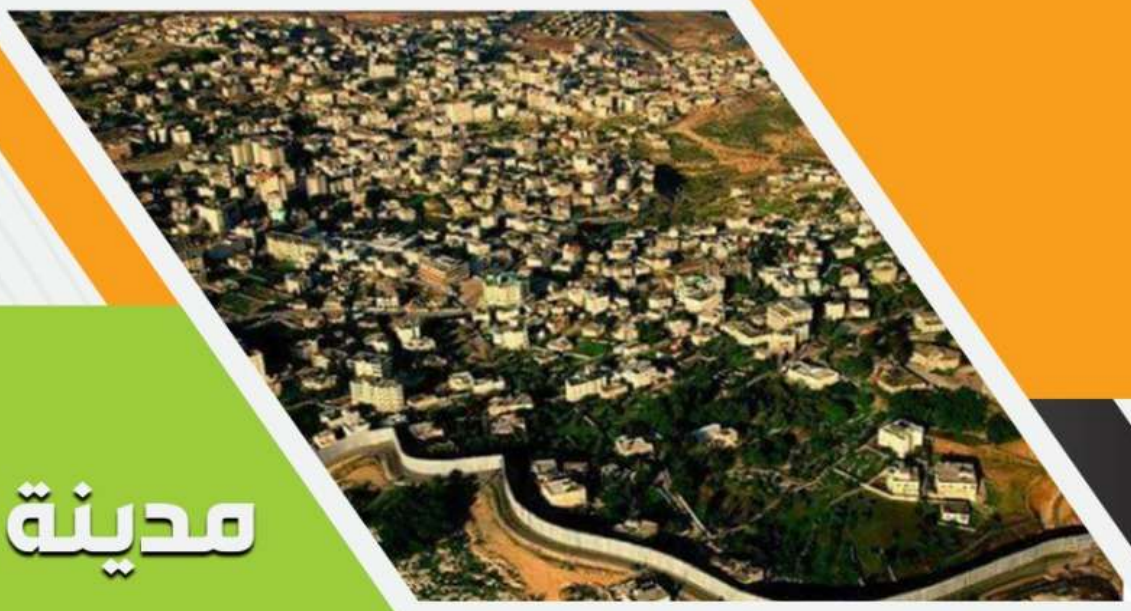

مدينة قلقيلية (الأسيرة)

الباحث

مروان الماضي

2023م

مدينة قلقيلية

(الأسيرة)

مروان الماضي

بسم الله الرحمن الرحيم

تـدقيـق لـغوي: عـلاء الـديـن نمر

تنسـيق وتنضيد: عبد القادر الحمرة

تصميم الغلاف: محـــمـد الـدلـو

مدينة قلقيلية (الأسيرة)

الأستاذ: مروان الماضي

تقديم

أ.د شكري عزيز الماضي

حقوق النشر محفوظة لصالح موسوعة القرى الفلسطينية©

2023

الإهداء

أجيال فلسطين والعرب أجمعين نذكرهم بأهمية فلسطين

فلسطين هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعينان، تهفو له القلوب، وتترنم بهوائه المشاعر، والقلوب تبكي لفراقه وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمضِ ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه، أجواء الكون تحمله موجات الأثير المسموع منها، والمرئي، والمقروء حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

1) موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا مع أفريقية).
2) إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
3) تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
4) فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات، وأشجار برية، وزراعات من حبوب، وبقول، وأشجار مثمرة من كل الأنواع كروم، وزيتون، وتين، ولوزيات، وحمضيات وهي أرض السمن والعسل.
5) فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج بالجرمق وكنعان بصفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت –435م تحت سطح البحر.
6) هي مهبط الأديان السماوية (يهودية- مسيحية- مسلمون).
7) تمازجت فيها الحضارات القديمة مصرية، كنعانية، بابلية، آشورية، كلدانية، وآمورية، ويونان، ورومان، وفرس، وغيرهم.
8) عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
9) التقت فيها البضائع والسلع من الكتان، والسكر، والقطن المصري مع التوابل الهندية، والبن والصمغ اليمني، والتمور العراقية، والبروكار الحريري الدمشقي، والسجاد الفارسي، والزجاج الخليلي، والأصبغة الفينيقية.

مقدمة الناشر

أسست أكاديمية دراسات اللاجئين مطلع العام 2021 مشروع "موسوعة القرى الفلسطينية"، وهو مشروع بحثي توثيقي أسسه فريق من خريجي الأكاديمية المؤمنين بحتمية العودة وتحرير الأرض، يهدف مشروعنا لخلق جيل واعٍ بحقه وتاريخه، وعي معرفة علمية أكاديمية بعيداً عن مشاعر الحنين والألم التي رافقت تاريخنا الطويل في صراعنا مع الصهاينة الذين يدعون أحقيتهم في أرضنا التي نسكنها ونعمرها منذ آلاف السنين، هدفنا خلق روح الحنين لدى الجيل الشاب للقراءة ومن ثم الكتابة العلمية والأكاديمية عن قريته، استناداً لما يحصل عليه فريقنا من معلومات ووثائق ودلائل تاريخية تشير لحضارة وعراقة وطننا الحبيب بمدنه وقراه وأحيائه وساحاته.

بارك مشروعنا هذا كوكبة من الباحثين والمؤرخين والمختصين في تاريخ وجغرافية فلسطين، وكان الباحث والمؤرخ الأستاذ "مروان الماضي" أبرز المباركين والداعمين لمشروعنا، واختصنا في إصدار سلسلة أبحاثه حول ما يزيد عن مئة قرية فلسطينية، وكان بحثه عن قرية إجزم "إجزم الحمامة البيضاء" منطلقاً لسلسلة أعماله التوثيقية هذه، واليوم نتشرف بإصدار هذا البحث المميز أيضاً، والذي عنونه باسم "**مدينة قلقيلية الأسيرة**"، حيث سيأخذنا الأستاذ مروان الماضي في رحلة مشوقة لهذه المدينة المقاومة بجغرافيتها، وتاريخها وثقافتها بالإضافة للحياة التعليمية والثقافية في المدينة مروراً بذكر أسماء أبرز أعلام المدينة، ختاماً بنضال أهالي المدينة والمعارك والأحداث التي تتعرض لها المدينة حتى اللحظة.

نشكر للأستاذ مروان، ولجميع الباحثين والمؤرخين مشاركتهم أعمالهم وأعمال غيرهم عن قراهم، ونتمنى لكم قراءة ممتعة ومفيدة.

نرحب بمشاركاتكم ومقترحاتكم، وتقبلوا منا كل الاحترام والتقدير، فريق موسوعة القرى الفلسطينية وعنهم: رشا السهلي.

2023-2-25

تقديم

عندما يُذكر اسم مروان الماضي يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة، استثنائية من حيث الثقافة الواسعة، والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات، وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. ولهذا كله أو بسبب هذا كله عددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير...الخ. لكنها كلها اهتماماتٌ تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين، ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلةً أمام عينيه، تستحوذ على فكره وعقله وأحاسيسه. ويدرك الأستاذ مروان "أن الوطن " فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار، الاستعمار الاستيطاني له أيديولوجية خاصة؛ وهذا فرض ممارسات استعمارية؛ مثل إزالة القرى من الوجود، ومحو الأسماء، وطمس المعالم، وسرقة الآثار، وتشويه التراث، وتزييف الوثائق، ونفي الهوية الوطنية، وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين وأصبح الصراع صراعَ وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة، ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض، على اعتبار فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية ماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها، ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في:

كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية، وهو نسقٌ خاصٌ في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة، وإجلاء الوثائق يهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية، وجعلها حيةً متوهجةً وفاعلةً على الدوام، ولهذا فإنّ كتاباته تندرج في إطار واجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية؛ أي تتدرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة وهي مهمةٌ وطنيةٌ وملحة في محاولات التذويب والطمس والنفي كلها فرضت كتابةً تتصف بالشمولية، وعندما يكتب عن مدينة أم الفحم مثلاً نراه يبدأ من التسمية، والموقع الجغرافي، ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، وعلى الحياة الثقافية وما تطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم والمؤسسات، والمراكز الثقافية ودورها في إحياء التراث، وحماية الهوية الوطنية من الذوبان، إلى الفلكلور من غناءٍ ودبكات، إلى مقاومة الظلم، وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصّع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى. ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

1) تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.
2) تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.

3) الحفاظ على كل شيءٍ (إحياء اللهجة والعادات، وكلُ شيءٍ يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف؛ لأني حريصٌ على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف؛ حتى يشعر حرارة الإخلاص بالحسِّ الوطني الصادق بالتماهي مع المكان، وناسه، وتاريخه، ويمن2ح العلم والمعرفة همة بارزة، وبأيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين، وبدعوةٍ خفيةٍ لتوحيد الجهود، وتكاثف الجميع في سبيل تحسين العالم أجمل عالم بمحاربة التمييز والقهر لتسود قيم الحرية والعدالة والمساواة.

تحية للأستاذ مروان الماضي معلماً، ومثقفاً، وأديباً، ومؤلفاً، وإنساناً؛ الذي حاول أن يثبت وقد أثبت فعلاً أن محبة العلم ومحبة الوطن تحدّهما السنوات ولا ينال منهما الزمن.

أ.د شكري عزيز الماضي

مقدمة

جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني ودخولهم أرضها، إذ استخدموا كل أساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستوطنات المغلقة وبشكلٍ خاصٍ المزارع الجماعية (كيبوتزوموساف)، واستطاعوا بناء خمسين مستعمرةً حتى عام 1935، واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها يزداد وينمو ويتطور، وكانت هذه المستعمرات تشكل تجمعاتٍ زراعية عسكرية لتصبح وسائل تحدي للمقاومة العربية.

لقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوّة والمسافة الاجتماعية، وزيادة العداء بين سلطة الاحتلال الداعمة للصهيونية وبين العرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب الأرض في فلسطين وبين الغزاة الأغراب.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأميركي ثم الروسي، الذين شاركوا في زرع إسرائيل وسط بحرٍ من العرب الذين يحاربون الوحدة العربية، ويرضون بالخنوع والذل حتى للبغاث الذي جعلوه نسراً في بلادنا يسرح ويمرح، والعرب يصوبون أسلحتهم التي ابتاعوها بدم شعوبهم يدمرونهم، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين، حتى باتت جيوش العرب تدمر بيوتنا وتقتل وتنفي كل من يستنكر ويعارض سلوكهم، وتلعب الدول الاستعمارية دور الملهم للصهيونية في تدمير الأمة العربية.

إن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً؛ سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة الأمل في العالم، وسيكون دمارهم على يد من خلقهم، وسيكونون أول الخاسرين والخاتمة للمتقين.

(المؤلف)

الفصل الأول

مـــدينـــة قـــلـــقـــيـــلـــيـــة

مدينة قلقيلية في قضاء طولكرم والتي تبعد عنها على مساحة 16 كيلومتر جنوب الجنوب الغربي من مدينة طولكرم، وقد أصبحت الآن مركزاً للمحافظة في عهد السلطة الفلسطينية هي وغيرها في تحديد المحافظات التي تضم الضفة الغربية.

الموقع وأهميته

يتميز موقع المدينة الجغرافي بما يلي[1]:

1- أنها تصل بين السهل الساحلي وسطوح المرتفعات شرقاً.

2- أنها تقع في ملتقى الطرق والمواصلات التجارية، ومحطة مرور للقوافل كما كانت ممراً لعبور الجيوش والغزوات الحربية.

3- محطة سكة حديد رفح- حيفا وعقدة مواصلات هامة لطرق كثيرة تربطها بمدن فلسطينية مثل طولكرم وحيفا وعكا شمالاً. ويافا واللد الرملة والمجدل وغزة في الجنوب الغربي ونابلس والقدس والخليل شرقاً، وتبعد عن القدس مسافة 75 كم ومن البحر المتوسط مسافة 14كم.

4- تقع المدينة في السهل الساحلي الفلسطيني بارتفاع 60كم فوق سطح البحر وتتسلق أبنيتها منحدرات المرتفعات الجبلية، ومن الشمال والجنوب بعض الأودية الموسمية، وإن موقعها هذا يعطيها إطلالة مميزة ومناخاً معتدلاً.

5- غناها بالزراعة التي كانت ثروة أساسية لسكانها قبل أن تصادر أراضيها من قبل الاحتلال الإسرائيلي.

6- مركزاً للتجارة بسبب شبكة المواصلات ومحطات المسافرين وهي تلعب دوراً كبيراً في صناعة الألبان والمواد التموينية.

أصل التسمية

[1]: الموسوعة الفلسطينية، عام مجلد 3، ص:589.

قلقيلية مدينة وهي إحدى الجلجالات الكبيرة التي ورد ذكرها في العهد القديم. والجلجاء يطلق على الحجر المدور الذي يكثر وجوده في فلسطين، ثم أطلق على كل شيء مستدير وعلى كل منطقة مدورة.

ومن المحتمل أن تكون قلقيلية هي الجلجال المذكور في قاعة الملوك العموريين والكنعانيين وغيرهم. ويقال إن موضعها القديم يقع بعد نحو خمسة كيلومترات من رأس العين. وقد يكون موقعها القديم عند قرية حبلة الواقعة على نهاية الهضبة التي تنحدر منها الطريق من نابلس إلى يافا. أو يحتمل أن يكون اسم قلقيلية قد بقي من اسم قلعة كانت تعرف باسم (قلقاليا) ذكرها يوسيفيوس كما ذكرت في التلمود باسم جلجيليا وهي واحدة من الجلجالات الكنعانية التي أقيمت في فلسطين.

عرفت قلقيلية في العهد الروماني باسم (كاليكيايا) وكانت آنذاك قرية صغيرة، وفي عهد المماليك كانت القرية من أعمال جلجوليا ثم أصبحت ناحية من نواحي قضاء طولكرم. وفي العهد العثماني عرفت باسم ناحية الحرم (نسبة إلى حرم سيدنا علي بن معلم)، وفي العقد الثاني من القرن العشرين الماضي كانت تضم داراً للحكومة ومدرسة ابتدائية وبلدية وسوقاً تجارية. وقد اشتهرت القرية آنذاك بزراعة الذرة البيضاء وأشجار الحمضيات، وكانت تصدر ما يزيد عن حاجتها إلى مدينة يافا[2].

ويذكر كبار السن في قلقيلية أن أصل التسمية مأخوذ من (قيلة) بمعنى أي مكان الاستراحة وقت الضحى عند الظهيرة[3].

تضاريس منطقة قلقيلية

تتشكل المنطقة الوسطى من فلسطين على الجبل والسهل والساحل، والساحل يطل على البحر الأبيض المتوسط. وتعود أهميتها إلى أن المرتفعات فيها قليلة الارتفاع تسهل مرور مناخات البحر إلى الداخل، وتهب في العادة الرياح الغربية فتلطف الجو في الصيف والشتاء، كما أن قرب البحر منها يساعد على تشكل الرطوبة والندى في الصيف وتخفض برودة الجو في الشتاء.

إن السيول والأودية التي تنحدر من الجبال في الشرق نحو الغرب جعلها ممرات نحو الداخل، فالمواصلات سهلت التنقل من الغرب إلى الداخل. وإن المرتفعات المكونة من صخور كلسية ودولوموتية نفوذة تمتص ماء الأمطار وتخزنها في الطبقات الدنيا، وهي

---

[2]: الموسوعة الفلسطينية عام مجلد 3، ص 590.

[3]: mailto:www.ansabe.com/vb/148079/net

طبقات كتيمة تحبس المياه لذلك تكونت الينابيع على حواف الأودية التي عرتها المياه، وكشفت عن طبقات المياه الحابسة لتخرج بشكل ينابيع كما هي الينابيع التي تغذي وادي الفالق.

أما بالنسبة للسهل الساحلي فإن أراضيه تتشكل من رمال تختلط مع رسوبيات الأودية التي تنحدر من المرتفعات الوسطى لتشكل مع مرور الزمن صخوراً كلسية طبيعية تعرف بالكركار[4].

شكل رقم (1)

[4]: الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 1 ص217 د.عادل عبد السلام.

إن تربة السهل الأوسط عميقة وخصبة متوسط ارتفاعها حوالي 20م، وفي كثير من الأحيان ترتفع صخور الكركار نحو 50م أو 80م لتشكل حاجزاً لخروج المياه لتصب في البحر؛ لذلك تتشكل المستنقعات وتعيق فلاحة الأرض لذلك حاول سكان المنطقة تحويل هذه المياه إلى الأودية والأنهار وذلك ضمن الإمكانات المتاحة.

ولما استولت إسرائيل المحتلة على غالبية السهول وظفت كل نشاطها إما تجفيف مثل هذه المستنقعات أو تحويلها إلى برك أسماك أو فتح مجاري لتصب في البحر.

وإن وجود قلقيلية في محاذاة المرتفعات الجبلية جعلها نعمة تحوي من حجارة للبناء استغل السكان هذه الصخور في البناء، وتفننوا في قطعها لتناسب البناء من نقوش وهي على أنواعها: نقش طبزي وسمسم وأملس إلى غير ذلك، وأشكال وأحجام مما ساعد على البناء وجود الأخشاب وسهولة توظيفها في البناء والموبيليا ...الخ.

وإلى جانب الينابيع استطاع المزارع في البلدة تأمين المياه عند الضرورة إذا لم تمطر السماء، حيث حفروا الآبار لجمع المياه لاستخدامها عند الحاجة. كما حفروا الآبار الارتوازية لسقاية المزروعات عن طريق مد أقنية مكشوفة أو أنابيب معدنية أو بلاستيك[5].

[5]: الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 1 ص217 د. عادل عبد السلام.

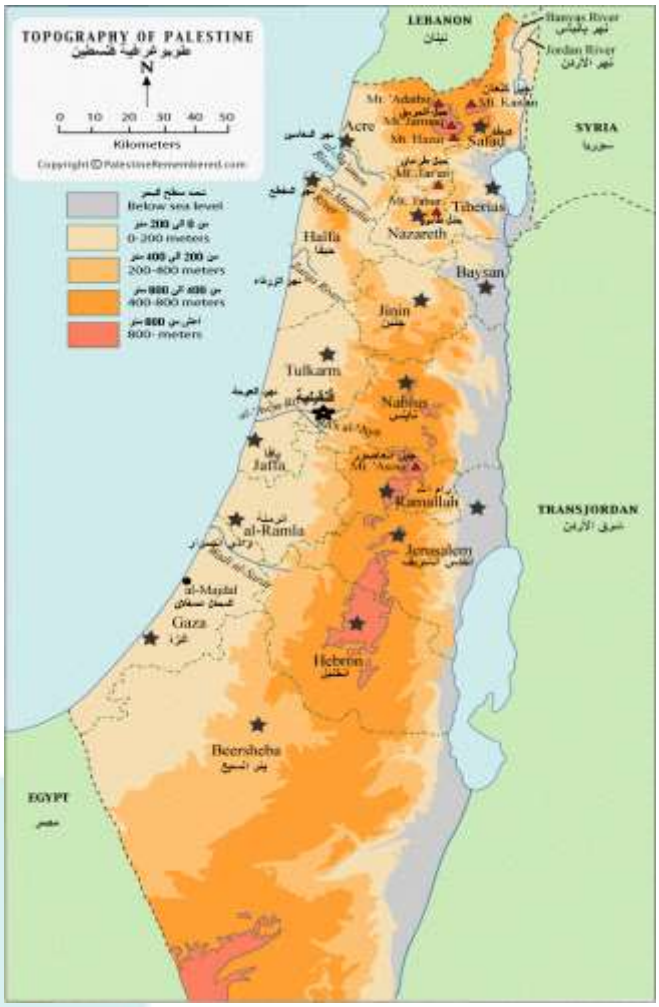

شكل (2)

ويمر وادي الفالق شمال غرب قلقيلية وجنوب الطيبة، ويصبح النهر دائم الجريان في الثلاثة كيلومترات من مجراه الأدنى بطول قدره 13.5 كيلومتراً ليصب في البحر غرباً شمال قرية الحرم.

ويعتمد النهر على مياه الينابيع والأمطار الموجودة حول مجراه، وإن تصريفه السنوي متقلب جداً لافتقاره إلى مصادر مائية ثابتة على مر السنين، ففي الشتاء الماطر ترتفع كميات الأمطار وتفيض على جانبيه مشكلة كثيراً من البرك؛ كبركة رمضان، وبركة البصة، والمستنقعات التي تم تجفيفها وتحويلها إلى أراضي زراعية. (شكل1)

وهناك العديد من الأنهار أو الأودية السيلية في المنطقة الوسطى مثل نهر اسكندرون الدائم الجريان والذي يصب في وادي الحوارث ويصب في البحر شمال وادي الفالق. يروي نهر اسكندرون أراضي وادي الحوارث الخصبة، والذي ابتاعه الصهاينة من أسرة لبنانية، وطردوا المزارعين بعد احتجاجات الصهاينة في ظل الانتداب البريطاني وحرموا المزارعين من قوت أسرهم، وذلك تحت تهديد الجنود البريطانيين لأن السياسة الإسرائيلية تمنع تشغيل العرب بالزراعة لأنها محددة للمستعمرات الجديدة الاستيطانية. شكل (1)

إن شريط جبال وسط فلسطين هو من الناحية المورفولوجية منطقة تتعرض للأعمال الحتية والتعرية بواسطة الأمطار التي تغسل سطوحها وبواسطة السيول التي تحفر وتعمق مجاريها وبالتالي فإن المواد الناعمة المفتتة من الصخور في الجبال والهضاب تُحمل وتُنقل من الأعالي إلى بطون الأودية والسهول القديمة, ومنها إلى السهول الساحلية في الغرب وهكذا, فإن أراضي الشريط الجبلي الهضابي في وسط فلسطين ذات تربة رقيقة موضعية أو تربة منقولة حملت إلى الأودية والمنخفضات فأصبحت سميكة نسبياً الأمر الذي ساعد على الاحتفاظ بنسبة عالية من مياه الأمطار القادمة من الشريط الجبلي في ذرات التربة، وعلى تكوين غشاء مائي قريب من السطح محدود الانتشار والأهمية . لكنه كاف لقيام حياة اقتصادية زراعية ناشطة.

تتلخص أهمية الشريط الجبلي في مجال الدراسة المائية بما يلي:

1- إن مجموعة امتداد الجبال الشمالي الجنوبي يتعامد بزوايا مختلفة مع محصلة الرياح الغربية القادمة من البحر المتوسط حاملة الرطوبة.
2- قع الارتفاع المتوسط العام للشريط الجبلي وبشكل محدد في جبال وسط فلسطين في حدود 800م فوق سطح البحر، والذي يساعد على تكوين ظروف مناخية مناسبة لتشكل الغيوم ثم الأمطار أو سقوط الثلج.
3- تحتل جبال وسط فلسطين (القدس الخليل ونابلس) بالإضافة إلى جبال الجليل مساحة قدرها 38% من مساحة فلسطين، وتسود فيها أنواع من الصخور ولاسيما الكلسية منها، وتسمح بتسرب المياه إلى الطبقات الكتيمة الذي يفسر ظروف المياه الجوفية التي تجعل المنطقة جاذبة للسكن وتشجيع الزراعة وتربية الحيوان وتربية النحل وإقامة مشاريع الدواجن باستخدام الأدوات العصرية وتوظيفها في الإنتاج الزراعي والحيواني وما يتفرع من هذا الإنتاج إلى إقامة صناعات هامة مثل. معاصر الزيتون وتعبئته، ثم الصابون وصناعة الدبس من العنب والتمور والمخللات، صناعة الطحينية من السمسم، ثم الأجبان.

إن هذه المنتجات وتوظيفها صناعياً تلعب دوراً هاماً في اقتصاد مدينة قلقيلية وما لحق بها من القرى[6].

الثروة المائية

تقع محافظة قلقيلية على الحوض المائي الغربي الذي يحوي مخزوناً مائياً يقدر ب 57% من مجموع مياه الضفة الغربية، ويشترك الحوض الغربي بالحوض الذي تتربع عليه مدينة رأس العين (المحتلة عام 1948) وببعض الوديان التي تمتد من روافد نهر العوجا ويغطي مساحة 1797كم2 من مساحة الضفة الغربية، ويضم هذا الحوض مدينتي طولكرم وقلقيلية، ويشمل أراضي داخل الخط الأخضر وخاصة الشريط الساحلي المحاذي للمدنيين.

ويعتبر الحوض المائي الغربي من أغنى الأحواض المائية في فلسطين نظراً لعمقه وموقعه بجانب السفوح القريبة لجبال نابلس، وجزؤه الشمالي أغنى من جزئه الجنوبي، ويصل حتى البحر الأبيض المتوسط ويقدر مخزونه المائي السنوي بنحو 350مليون م3، أما كمية التغذية السنوية فيه فتقدر بحوالي 130مليون م3، وتزداد أهمية هذا الحوض نظراً لطاقته المتجددة العالية. إن قلقيلية من المناطق الغنية حقاً بالثروة المائية والممثلة بالمياه الجوفية حيث وجد فيها ما يزيد عن 70 بئراً ارتوازياً. وقد سبق للقوات الإسرائيلية أن قامت بنسف بعض هذه الآبار في محاولة منها لحرمان البلدة وسكانها من الثروات وأشهرها حملة عام 1965م.

ربط أحواض منطقة طولكرم وقلقيلية بمشروع مياه إسرائيل القطري

مشروع المياه القطري– الإسرائيلي:

انطلقت الخطة المائية هذه على مرتكزين أساسيين في السياسة المائية الإسرائيلية والاستيطانية الاستعمارية وهما: تحويل مياه الأردن إلى النقب من جهة، والعمل على تنفيذ مشروع جرمياه البحر المتوسط إلى البحر الميت، وقد تأخر المشروع هذا الأخير وتم الاتفاق مع الأردن لتحويله من البحر الأحمر إلى البحر الميت وهو قيد الدراسة والتنفيذ.

إن الذي يهمنا في هذا السياق أن يعرف أبناء فلسطين بشكل عام كيف مارست إسرائيل تنفيذ المشروع وسرقة المياه العربية في غفلة عن الزعامات العربية التي كانت متحمسة لرفض كل المشاريع التي طرحت في أواسط الخمسينات، إذ قام الصهاينة في ربيع عام 1956م

6 : الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 1 ص217 د. عادل عبد السلام.

بإعادة النظر في الخطة السبعية التي اعتمدت عام 1953م فجعلها خطة عشرية تنتهي عام 1963م وأتبعها بخطة أعدتها شركة(ناهال) اليهودية للدراسات والتصاميم وتتطلب كله إعادة النظر في بعض جوانب المشروع السابق، وإدخال التعديلات الضرورية عليها. وكان من أهم التعديلات إلغاء فكرة خزان (سد) البطوف المستودع الرئيسي لخزن مياه الأردن وبعد أن أيقن المهندسون بأن أرض البطوف ليس فيها طبقات كتيمة لحجز المياه أي الأرض نفوذة.

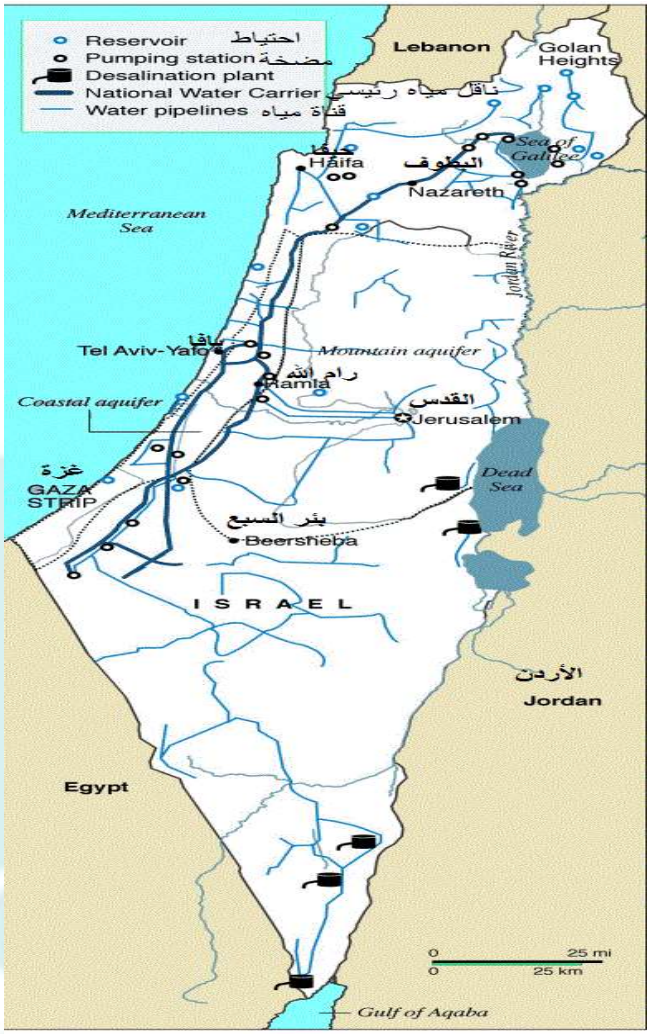

شكل (3)

كان الحل عندهم بأن تكون بحيرة طبرية هي الخزان الأساسي ثم يضخ الماء منها على انخفاض 210م دون سطح البحر إلى ارتفاع 175م فوق سطح البحر، ثم تضخ إلى خزان صغير سعته (150م3) من المياه مهمته تنظيم سير المياه من جهة، وتركها راكدة لمدة 24 ساعة لتنقيته من الرواسب من جهة ثانية.

ولقد بلغ طول القناة من محطة الطابغة على بحيرة طبرية مع التقائها بقناة من محطة الطابغة على بحيرة طبريا مع التقائها بقناة رأس العين 942.5كم، بطاقة وصلت إلى (180مليون م3) في المرحلة الأولى وفي المرحلة الأخيرة حالياً إلى (320 مليون م3) من المياه العذبة. الشكل(3)

كل هذا حصل ويحصل خلال السنوات العشر والعرب لم يعرفوا ما حصل ويحصل، ومخابراتهم تسلط على شعوبهم لإسكات كل صوت يعلو منها للخطر، وقد نشرت جريدة الجيروسلم بوست تفاصيل المشروع وإنجازاته، وبعدها تداعى حكام العرب وعقد ت الجامعة العربية اجتماعاتها كالعادة واتفقوا على سد الطريق عن المشروع الصهيوني قالوا (نهر الأردن لن يتحول) وبدأ المشروع العربي يمد قناة من نهر الحاصباني اللبناني إلى قناة نبع بانياس السوري.

ولم يضعوا خطة لحماية المشروع المنوي تنفيذه إذا اعتبرت إسرائيل تنفذ هذه الخطة دماراً لمشروعها الحيوي في نهب المياه العربية. وكنت حينها مسؤولاً من مدارس الأونروا في درعا والجولان ورأيت المعدات الثقيلة والحفارات والأنابيب الضخمة وقد تجمعت في منطقة وادي السمك بالجولان، وقد حفرت القناة القادمة من نهر الحاصباني إلى بانياس.

لقد حذرت إسرائيل العرب وظل العمال العرب في نشاطاتهم يعملون مما جعل إسرائيل تقصف المعدات وكل الإنجازات التي حققها العمال، وراح ضحيتها بعضهم ولم تطلق رصاصة على العدو، وسكت الجميع حتى الآن. وقد ضمت إسرائيل الجولان إليها وشردت أكثر من 160 ألف سوري من بيوتهم ولم يبق سوى أفراد من الطائفة الدرزية الذين تمسكوا بديارهم وبيوتهم.

ومن المشاريع الأخرى المائية التي قامت بها إسرائيل في نهب المياه العربية شكل (3):

تحويل نهر المقطع (قيشون) والنعامين إلى أراضي سهل حيفا وعكا، وفتح مرفأ عند مصب نهر المقطع في خليج حيفا؛ إذ وسعوا مجرى النهر وحفروه بعمق 15م وبعرض 50م وطول 400م، وأصبح البناء مستقلاً لتخزين البضائع، والتخفيف عن ميناء حيفا ثم تصليح السفن.

ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات، وقلما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة.

ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها:

البلوط: ويشكل تجمعات شجيرية واضحة، كما أن السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة تتبعها أشجار الخرنوب والسعتر والنتش والزوفا والميرمية والشومر كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.

الدفلة: وهي شجرة دائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة؛ إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان، وتؤدي بذورها للغثيان وانخفاض النبض وتدخل مستحضراته كمقوية للقلب.

العرعر: فصيلة سروية يستخدم في الطب، وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج فتجفف في الظل وتهوى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول، وتفيد كمقشعة للبول وللالتهابات التنفسية وفاتحة للشهية.

الطيون: نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محببة، تستخدم في إزالة شوك ثمار الصبار عند قطفها، ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم، وخواص مضادة للديدان الحلقية كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون المغلي.

الزنزلخت: وهو شجر بري ويزرع في البيوت والشوارع أحياناً، ويكثر في المزارع ويستعمل قشره كطارد للديدان, والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة، ومنقوع ثماره المغلية تستعمل لأمراض الجذام، ويعتبر الزيت الناجم عن البذور مقوياً للشعر كما يستخدم في أمراض الجلد.

الكينا: شجر معمر أوراقه مغزلية وجذوره قوية تمتد إلى مسافات طويلة تؤثر في أساسات الأبنية تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة، أوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم. يدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.

البابونج: نبات عشبي حولي تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة، وتستعمل ضد الالتهابات، وهي مطهرة تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو.

المليسة: نبات عشبي أيضاً وهو معمر يكثر في الأماكن الرطبة وعلى حواف الأودية يستعمل بشكل واسع في صناعة العطور التجميلية كما يستفاد منها في المرطبات, وتستعمل طبياً في حالات الضعف العام، وحالات خفقان القلب كما أنها مضاد للتشنج والمغص المعوي وكذلك للصداع والروماتزم.

الشومر: وهو من الفصيلة النجمية (اليانسون) يستعمل كمنشط للأمعاء، وهو طارد للريح ومحسن لطعم كثير من الأدوية.

تستعمل الثمار والزيت المستخرج منه في الصناعات المغذية، ويعتبر أساساً صناعياً للمنتوجات العطرية والتجميل.

الحنظل: من الفصيلة الفرعية, نبات عشبي معمر تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية، ومسحوق البذور وخلاصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.

السعتر: نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة ويحوي على زيت طيار، تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت، كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل في الروماتزم، وأن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة والتهاب اللثة ومخاطية والتهاب الرئة وقرحة المعدة والاثني عشرية كطارد للديدان الخيطية، ومضاد للسعال، يكثر هذا النبات في المنطقة ويرافق السعتر له رائحة عطرة. وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص الحلق واللوزات والأغشية المخاطية, تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء، ويستعمل المنقوع أيضاً لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.

الهندباء والخبيزة: وهي من النباتات الحولية تكثر في البراري وأطراف الأودية, وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة، وهي غذاء أساسي للناس في موسمها، كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل، ومطهر للجراثيم وكذلك بالنسبة للسعتر .

الخلة: وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل، يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة.

شجر الخرنوب: يكثر شجر الخرنوب في المنطقة، وبشكل خاص على سفوح المرتفعات، وقد اعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخرنوب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف، ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست)، ويغمر الخليط بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلواً، ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء ويجفف الخليط ويستخدم وقوداً للطوابين، ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بخلطه مع مواد أخرى. أما الماء في الدست يغلى حتى يصير لزجاً، وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الحمار، ثم إلى اللون الأسود ويدعى دبس الخروب أو (الرب). واعتاد أهل القرى في فلسطين أكلها وتموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام. وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف إليه الثلج، ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس, والملفت للنظر أن أوراق شجر الخرنوب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ، ولا تزول بالصابون العادي سوى بورق الخرنوب .

شجر الزيتون: ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الناصرة والجليل، تجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني، وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة، ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر, وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وعلى حجر كبير دائري، وكل دولاب يديره حيوان ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نباتات القصب على شكل دواليب، وتوضع القفف بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين، فيضغط اللولب على القفف فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل (بئر) وتسمى (البدود). وفي البلدة ثلاث معاصر زيتون ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز). ثم تجمع في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار، وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان. والمعصرة الآلية في شعب يسمونها "البابور".

الصبار: وشكل الصبار حزاماً يلف بعض الحواكير(قطع من الأراضي)، ويعطي هذا النبات ثمراً لذيذ الطعم حلو المذاق يلتقط بواسطة الأيدي، واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة, ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب وتعتبر أحزمة الصبار لحدود الكروم سياجاً تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي كما تعتبر عصارة ألواح الصبارة مادة قلوية لالتئام الجروح .

الحمضيات: ينتسب إلى هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون- البرتقال-اليوسفي- المندلينا والكريب فروت- والكباد.. الخ) وتجود زراعة أشجار الحمضيات على سفوح التلال ومنخفضاتها تتزين أراضي شعب وبشكل خاص في فصل الربيع ببساط أخضر ونباتات متعددة ومتنوعة مثل: النرجس وشقائق النعمان. بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو رائحة زكية عطرة تنعش القلوب وتثلج الصدور، بينما تنقل الرياح هذه الروائح إلى مسافات بعيدة، وعلى حواف الوديان تنمو أشجار الدفلى وهي تلبس أزهاراً وردية ملوحة بالأبيض تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أماكن بعيدة يتغذى برحيقها الفواح.

وقد اعتاد السكان في البلدة زراعة بعض النباتات الزهرية في بيوتهم إما بشكل حدائق صغيرة الحجم أو بأصص أو في أواني متنوعة فيزرعون القرنفل والريحان والخبيزة العطرة والخبيزة. وبعد الاحتلال وسلب الأراضي عوض المزارع في شعب ومناطق القطع فقدان أراضيهم الزراعية على زراعة الورود بالبيوت البلاستيكية، وتفننوا بتوضيبها وشحنها لأوروبا كمادة تجارية رابحة جذبت حب الأوربيون وتقديرهم لهذا الإنتاج المتميز من الأزهار والورود. وبعض الأسر كانت فيما مضى تستخدم طحين الذرة في طعامها، ويقال عن رغيف الذرة البيضاء (الكراديش).

الطيور والحيوانات البرية

إن طبيعة أراضي المنطقة من أراضي ومناخ، وتباين في التضاريس هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية، وقد استطاع العلماء تصريف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات, وقد انقرض أكثرها الآن ومع ذلك فإن بعض منها لا يزال موجوداً بنسب متفاوتة منها على سبيل المثال .

طيور الحجل والشنار: ويعيش في المرتفعات بين الأحراش بين أشجار السريس والسنديان وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين، وكان بعض الصيادين يأخذ فراخها ويدجنها في البيوت ضمن أقفاص، ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور .

الرقطي والقطا: يشبه الرقطي الحمام تماماً ويقال عنها ستيتية لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقاً لها صوت عذب عندما تصدح باكراً تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون، وكان الصبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو تربيتها في الأقفاص. أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة، لحمه قاس ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان إلى آخر بغية قنصه.

الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة، حجمها متوسط، ولحمها طيب، يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتباع للمطاعم.

السمن والفرّي: وهو طير مقيم في كثير من الأحيان، ويعيش بين جذوع الشجر الملتف، ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين عن طريق الصيد بالبارود والفخاخ والنقيفات وهذا الطير متوسط الحجم لحمه لذيذ الطعم.

الزرعي: ويشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة، وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ. والهدهد طير موسمي يكثر في الربيع والخريف، جميل المنظر له قنبرة على رأسه تتوجه، صيده غير محبب لقلة وجوده أولاً ثم لاتجاهات دينية ثانياً .

وهناك من الطيور الشائعة مثل (البلابل) والدوري الكركس والشحيبر والحنيني والآمي والسنونو..الخ من الطيور الجارحة (الصقور والبوم والغراب).

الحيوانات البرية والزواحف

توجد مثل هذه الحيوانات مثل (الضباع والثعالب والواوي والذئب وغيرها بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر الزمن كما حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها. ومن الحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنافد والسحالي والسلاحف والحرادين...) ومن الحيوانات البرية والتي يؤكل لحمها الغزلان والأرانب وهي تعيش في بيئة صالحة في المدجنة، وكانت كلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم.

الماعز: إن بيئة المراعي في جو مناسب وطعام وافر متوفر بشكل كبير في أراضي بيت حانون لكثرة المراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال والماعز بحاجة ماسة إلى تسلق الشجيرات لأكل ما يطيب له لذلك نرى أعداداً منها تسرح وتمرح في أراضي البلدة.

الأغنام: وتأتي الأغنام بعدها وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها، ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن، وتدر على أصحابها المال الوفير ولم أعثر على المعلومات التي تقدر عدد المواشي في شعب منذ زمن بعيد، إذ حملت جمالهم المعدات الحربية والمؤن للمعسكر إلى جانب الذخائر والجنود هذا في الحروب وأثناء السلم تحمل البضائع التجارية من مكان لآخر. وظلت

المواصلات قائمة حتى اليوم فالسيارات على أنواعها تمخر بواديها ليل نهار وتعد بالمئات يومياً، والحركة مفعمة بالنشاط وبشكل خاص عندما تبدلت وتطورت من قرية متواضعة إلى بلدة حديثة تتمتع بكل مقومات البلدات.

الحمير والبغال والخيول

لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود وبقي منها عدد قليل يوظف لركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل إليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة، ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار: وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية في بلدة شعب وقد حاول البعض بناء الحظائر النموذجية، حظائر عصرية تجمع بين الأبقار الأهلية والأجنبية وتبقى ترعى في مزارعها الخاصة، ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتجود بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل وكلما تطورت العناية في التربية كلما زداد الإنتاج جودة وقيمة وهذا متوفر لدى بعض الناس في البلدة.

النحل: ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية من جودة مناخ وكثرة أشجار كلها ساعدت على وجود الإنسان في بقاع فلسطين منذ قديم الزمان. وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين إذ كتب عنها طبيب فرعون المصري سنوحي عندما هرب من الفرعون الجديد إلى فلسطين، وسكنها وتزوج كنعانية، ووصف كرم أهلها وخيرات أرضها، وقال عنها أنها أرض الخمر والعسل. وقد اهتمت بعض الأسر من أهل البلد بتربية النحل بالطرق القديمة وقد تطورت الآن إلى أساليب حديثة تدر أموالاً على أصحابها، إن العسل المنتج من النوع الجيد لأن النحل يتغذى من الأزهار المتنوعة والكثيرة.

الدواجن: إن طبيعة الحياة الريفية البسيطة ساعدت الفلاح على الاهتمام في تربية الدواجن منذ زمن بعيد لسد حاجاته من لحم وبيض، ولم يكن بحاجة لشراء هذه المواد طيلة العام وكان إنتاجه من هذه المواد يزيد عن حاجته في غالب الأحيان فيبيع البيض والحمام والأرانب إلى باعة متجولين أخذوها إلى أسواق المنطقة في المدن أو عن طريق المقايضة المحلية. لقد كان الفلاح في بلدة شعب وضواحيها يعتمد كلياً في طعامه على الحمام، ولم يخل بيت في شعب من طيور الحمام التي كانت تكفيه من لحوم أفراخها (زغاليل) المشهورة بلذة طعمها في طبخات متنوعة (الملوخية, شوي, ومحشية بالرز, مقلية تغطى على الرز، المنسف)كما يدخل الحمام وفراريج الدجاج في المسخن (المحمر)..الخ .

وعلى هذا كان الإنتاج الحيواني يكفي حاجة السكان والفائض يعد للتصدير، أما الحليب فقد اعتاد الناس في البلدة وبشكل خاص أصحاب المواشي إذ يحولونه إلى ألبان (جبنة، لبن مجفف، زبدة، سمنة).

مناخ المنطقة

تتمتع مدينة قلقيلية بحكم موقعها بمناخ معتدل الحرارة صيفاً مائل للبرودة شتاءً، وهناك تفاوت بسيط في درجات الحرارة بين السهل والمرتفعات مثل الارتفاع والانخفاض عن سطح البحر كما تتفاوت الحرارة وتختلف قليلاً في البعد والقرب من البحر، ولما كانت المدينة ومنطقتها محصورة بين السهل والجبال تمتد طولاً من الشمال إلى الجنوب، فإنها مفتوحة على الغرب بفتحة واسعة تساعد على دخول المؤثرات البحرية من رطوبة ونعومة هواء وأمطار ثم ندى. ويبلغ معدل الحرارة السنوي في قلقيلية 18.9مئوية وهذا يجعلها نموذجاً لمناخ البحر الأبيض المتوسط حيث المعدل العام 19.17 مئوية، ويبلغ معدل الحرارة العظمى في قلقيلية 26.6 مئوية نهاراً و21.7 مئوية ليلاً، وأبرد شهور السنة هو (كانون أول وكانون الثاني وشباط) إذ تصل الحرارة بين 14.3 نهاراً- 9.4 ليلاً وبلغ المعدل العام للحرارة في أحر الأشهر (شهر آب) 26.15 مئوية، بينما بلغ المعدل العام للحرارة في أبرد الأشهر (شهر كانون الثاني) نحو 11 مئوية، وهذا على اعتدال المناخ في مدينة قلقيلية صيفاً وشتاءً، ومن الجدير بالذكر إن معدلات درجات الحرارة لا تتباين كثيراً بين عام وآخر وتؤثر فيها خصائص الموقع والارتفاع والتضاريس وقد سجلت أعلى درجات الحرارة في تاريخ قلقيلية الحديث في اليوم الثاني عشر من أيار 1996م وبالتحديد الساعة الثانية ظهراً، وهي وبالتحديد الساعة الثانية ظهراً وهي 41.4 مئوية (26) نسبة الرطوبة وبسبب قربها من البحر حيث لا يبعد عنها سوى 14كم بخط مستقيم فإن درجات الرطوبة مرتفعة فيها نسبياً بالمقارنة مع المناطق الجبلية ومدن الداخل حيث معدلها السنوي العام إلى نحو 70% وتبقى درجات الحرارة والرطوبة مرتفعة فيها نسبياً بالمقارنة مع المناطق الجبلية ومدن الداخل حيث يصل معدلها السنوي العام إلى 70%. وتبقى درجات الحرارة والرطوبة السائدة في المدينة ملائمة للنشاط البشري صيفاً شتاءً, فالمناخ المعتدل هو أهم عوامل جذب السكان إلى هذه المدينة بالإضافة إلى انعكاسات هذا المناخ بشكل إيجابي على ازدهار الزراعة الصيفية الشتوية والأشجار المثمرة والنبات الطبيعي والثروة الحيوانية والمناحل والدواجن.

العمران

لقد امتد العمران في قلقيلية من الشمال إلى الجنوب وانتشر في كل مكان، وبعد أن أقيم فيها بلدية ومجلس بلدي أصبح البناء منظماً بشكل جيد مراعاة للشوارع والساحات العامة والمؤسسات بينما بقيت البلدة القديمة بيوتها مترامية لا نظام لها.

إن ما ساعد تطور العمران في مدينة قلقيلية العوامل التالية:

- وجود المواد الأولية من حجارة جيدة للصقل وللقص في أحجام مرغوب فيها ومن أخشاب وملاط.
- الأيدي الخبيرة والكثيرة إذ أن قسماً لا بأس به من العمالة العاطلة وجدت فرصتها في مهنة البناء.
- توفر الأموال اللازمة للبناء عن طريق التجار والمغتربين الذين يرسلون الأموال لذويهم.
- أصبح البناء عملية استثمارية في تأجير المحلات التجارية والشقق السكنية للبيع والإيجار.

إن كل هذه العوامل وما أكثرها من زيادة عدد السكان والعمالة في المؤسسات والخدمات كلها ساعدت على البناء وتطوير العمران في مدينة قلقيلية.

إن وجود بلدية تشرف على الأبنية ضمن دراسات تمنح بموجبها رخص البناء بشروط تحت رقابة مهندسي البلدية ورقابتهم المستمرة، هذا يجعل للأبنية ظروفًا للخدمات وتأمين راحة القاطنين في الحي، إن وجود الأفران ومساحات ومواقف للمواصلات والأسواق يعطي المدينة مناظر جميلة من رتابة البنية والشوارع فيها ثم الأسواق وما فيها من سلع ومواد كل قسم فيها يحتله نوع خاص مثل محلات القماش- محلات الذهب- محلات الحلويات- الألبسة الجاهزة- الإكسسوار-العصرونية- (أي أدوات المنزل). وفي السوق يلبي حاجة المواطن من مأكل ومشرب ولباس وأجهزة إلكترونية وتنظيف؛ غسالات برادات أجهزة سمعية بصرية، حتى أن بعض الأثرياء أسسوا محلات ضخمة (سوبر ماركت) وهو بناء ضخم تجد فيه ما يوجد في الأسواق العادية جميعاً، وقد انتشرت مثل هذه المحلات في كل المدن.

لقد تقدمت مدينة قلقيلية حقاً في العمران وتنعكس هذا في تبدل في حياة الناس الاجتماعية وساعد هذا على تخفيف المعاناة التي يعيشها السكان من حصار للبشر تقوم بها سلطات الاحتلال التي غسلت أدمغة العالم أجمع والعرب مقصرون في حماية أنفسهم ولوعن طريق إبراز الحقائق والدعايات الصهيونية المزمنة، ومن بيده مال يعمل الأعاجيب فالمحطات العربية التلفزيونية التي أغرقت الأجواء العربية فإنها توظف الآن لخدمة الحاكم، وإن الأسلحة التي كلفتهم مليارات الدولارات لا تطلق على الأشرار وإنما تدمر البيوت وتقتل

أبناء شعوبها بالجملة، ويخسر العرب تريليونات الدولارات التي أودعوها في البنوك الأجنبية وشراء الأسلحة ويدّعون بأن فلسطين هي القضية الأولى والتي لا يعلو عليها أي مشكلة أخرى.

الفصل الثاني

لـمـحة تـاريـخـيـة

الحقبة القديمة

وهي الفترة التي كانت بلدة قلقيلية تخضع للكنعانيين بينما كان يجاورها على الساحل الفلسطينيون القادمون من بحر إيجة، ولم يكن لهؤلاء أي سلطة على السكان الكنعانيين الذين استقروا في المرتفعات بينما احتل منهم الساحل في منطقة عكا، ومارسوا التجارة وأصبح عندهم أسطول كبير للتجارة فجابوا البحار ووصلوا إلى شمال أوروبا، وبات البحر الأبيض المتوسط بحيرة فينيقية وأصبحت قرطاجة في تونس مقراً مهماً لهم.

كان الكنعانيون في فلسطين مسالمين واتخذت كل مدينة نظامها وتجلت ببناء الأسوار للحماية ولم تكن عندهم سمة دولة مثلاً (ملكي صادق حكم القدس) ولم يوسع نفوذه حوله وهكذا تبعثرت قوى الكنعانيين وسهل على الغزاة حكمهم.

زمن الرومان

رغم قلة المعلومات التاريخية عن التقسيمات الإدارية في فلسطين عامة قبل الفتح الإسلامي إلا أن المصادر تشير إلى أن فلسطين في ذلك العهد في القرن الرابع الميلادي كانت تقسم إلى ثلاث ولايات؛ فلسطين الأولى والثانية والثالثة (الصحراوية)، في حين كان جزء من شمال فلسطين سهل عكا ومنطقة حيفا يتبعان ولاية فينيقيا. وقد ذُكرت قلقيلية في هذه التقسيمات في منطقة فلسطين الأولى من قضاء رأس العين والمعروف باسم انتباتروس(Antipatrus) وكان منبع هذا القضاء إدارياً 10 قرى في مقدمتها قلقيلية. شكل(4)

تقسيم فلسطين زمن الرومان

شكل (4)

العهد الإسلامي

بعد أن تم الفتح الإسلامي لبلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب قسم بلاد الشام إلى 4 أجناد هي: حمص، دمشق، الأردن، وفلسطين.

وجند فلسطين يضم المناطق الوسطى الجنوبية من فلسطين الحالية وقسماً من شرق الأردن وكانت اللد قصبة هذا الجند، وبالتالي كانت قلقيلية في إطار هذا الجند، وظل هذا التقسيم معمولاً به طيلة فترة الدولة الأموية والعباسية مع تعديلات في قصبة هذا الجند بين خليفة وآخر شكل(5).

وفي زمن الدولة الفاطمية أصبحت قلقيلية إحدى نواحي كور ناحية كفرسابا.

التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي

شكل(5)

زمن الدولة المملوكية

حظيت جلجوليا المجاورة بمكانة بارزة وأصبح لها مركزاً متقدماً في المنطقة، وكانت قلقيلية واحدة من أعمال جلجوليا في هذا العهد. وفي هذه الفترة برز زعماء قلقيلية ممن انتقلوا إلى مركز المنطقة جلجوليا لممارسة التعليم والإقراء ومنهم شمس الدين محمد بن أحمد القلقيلي. (شكل 6)

التقسيمات الإدارية في عهد المماليك الشراكسة

شكل (6)

الفترة العثمانية

مع بداية العهد العثماني قسمت الشام إلى 3 ولايات، منها ولاية فلسطين والتي قسمت بدورها إلى 5 ألوية أو سناجق وهي القدس، غزة، صفد، نابلس، اللجون. فكانت قلقيلية تتبع إحدى هذه السناجق وهو سنجق نابلس وفي عام 1660م، تشكلت ولاية أخرى في بلاد الشام وهي ولاية صيدا والتي ضم لها بعض أجزاء فلسطين.

وأخذ ولاؤها لنفوذهم وقوتهم يتدخلون في أمور كل المناطق الفلسطينية بحيث اعتبرت معظم التجمعات السكنية بما فيها قلقيلية في إطار ولاية صيدا ونفوذها. ويذكر أن والي الشام والتي كانت فلسطين تتبعها اضطر إلى طلب المعونة من سليمان باشا والي صيدا بعد أن أخفق في مواجهة ثورة أبي عودة الجيوسي في صفين في القرن التاسع عشر.

وقد انعكست الأوضاع المضطربة التي سادت الدولة العثمانية منذ أوائل القرن التاسع عشر على مختلف نظمها الإدارية والاقتصادية والتعليمية. وكانت فلسطين من بين أكثر هذه البلاد العربية تأثراً بتلك الاضطرابات بسبب تكوينها الجغرافي والسكاني فضلاً عن مكانتها الروحية، فهي لم تخضع لنظام إداري واحد فقد كان جزؤها الشمالي تابعاً لولاية بيروت، والجنوبي لمتصرفية القدس، ووجدت فيها نظم مختلفة في التعليم. وكان اقتصادها يعتمد على الزراعة في الدرجة الأولى وإن وجدت بعض الصناعات المحلية. أما الخدمات فلم يكن لها وجود مهم. وكانت وسائل المواصلات ضعيفة وحالة الأمن مضطربة وكانت الخدمات الصحية والاجتماعية مقتصرة على بعض المدن الكبيرة.

هذا التخلف في الأرياف الذي كان يشكل 75% من الفلاحين ساعد المشايخ والأعيان للقبائل في السيطرة على معظم الأراضي الزراعية بحيث أوجدت هذه الحالة نوعاً من أنواع الإقطاع.

التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية

شكل (7)

ملكية الأراضي وآثارها الاجتماعية في فلسطين

كانت الأراضي جميعها ملكاً للدولة العثمانية باستثناء بعض الأراضي التي كانت لأشخاص كانوا في خدمة السلطان والذين امتلكوا الأرض منذ قرون، وكانت تمنح الأراضي للأشخاص الذين يقومون بزراعتها وفلاحتها، ودفع الضرائب الملزمة، والذين يتقاعسون عن الزراعة تصادر أرضهم وتمنح لمن يزرعها، وكانت الأراضي الفلسطينية من نمط (المشاع) في معظم مناطق البلاد وكانت الأراضي المحيطة بالقرية تقوم على أساس الملكية الجماعية الأمر الذي جعل فلسطين منطقة زراعية هامة.

وقد جعل قانون الأراضي (لعام 1858م) وقانون تسجيل الأراضي حق جمع الضرائب وتسجيل ملكية الأراضي وراثياً في العائلة (الملتزم)[7].

وهذا وفر له القدرة على التحكم بالأراضي وقد جاءت القوانين المعدلة عام 1868م لتعطي للأجانب حق امتلاك الأرض واستثمارها بشرط دفع الضرائب.

وقد وصل شراهة الحكام الأتراك للمال أن يفرضوا الضرائب على العقارات والمحاصيل وعرف نظام الضرائب هنا (بالالتزام) ويتم تعديل هذا النظام حسب مقدرة الشيخ في توفير القوات اللازمة لجمع المال والفلاحين والمحافظة على الأمن في المنطقة.

وقد استفاد ملاك الأرض الحق في بيع الأراضي في مطلع القرن العشرين وقد استفادت الفئات التي تملك سندات تمليك وخسرت فئات أخرى اعتمدت على فلاحة الأرض، كما ساعد هذا الاتجاه على تحول نظام الزراعة من الاكتفاء الذاتي إلى زراعة المحاصيل الزراعية إلى محاصيل من أجل التصدير إلى أوروبا ومصر وشمال أفريقيا عبر ميناء حيفا وميناءي عكا ويافا.

وقد حدث تطور ملحوظ في تصدير الحمضيات حتى بلغت الصادرات عام 1913م حوالي (1.3 مليون صندوق) وقد ساهم هذا التطور في زيادة اقبال الملاكين على تطوير الزراعة من أجل التصدير أكثر من اهتمامهم بزراعة الحبوب واليقطين والعناية بالماشية والألبان.

ومن التطورات الهامة التي حدثت في الكيان الاقتصادي والاجتماعي في فلسطين في أواخر حكم العثمانيين هو: تنظيم التعليم الرشدي (الإعدادي) إذ سمح لليهود والنصارى بالاشتراك في عضوية المجالس الإدارية، وقد انتخب ممثلون عن فلسطين في مجلس المبعوثات الذي انعقد في إسطنبول عام 1876م، كما سمح لغير المسلمين بممارسة القضاء والمحاماة أمام محاكم مختلفة. وفي عصر التنظيمات هذه أسست شركات أجنبية متنوعة، وكانت الدولة سائرة نحو الأوروبي وتوسع نشاط هذه الشركات وتبعتها القناصل الأجنبية، ونشطت في بعثات التبشير وما يلزمها من مؤسسات صحية وغذائية ودينية.

7: الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 1 ص 427 اسحاق قطب.

وقد هاجر إلى فلسطين أمواج من اليهود الروس ودول شرقي أوروبا ضمن إطار التنظيم الصهيوني، وبحلول عام 1900م هاجر إلى فلسطين 5000 مزارع تم توزيعهم على 19 مستعمرة تشمل حوالي ربع مليون دونم، كما أنشأ الصهاينة عام 1901 صندوقاً عاماً باسم (كيرين هايمت) الصندوق القومي لشراء الأراضي، وتم إنشاء صندوق آخر عام 1920م باسم (الكيرين هايسود) وهو الصندوق التأسيسي لمساعدة المشاريع الصهيونية يهدف لشراء الأراضي والإسكان.

الجدول يمثل الأراضي الصالحة للزراعة وغير الصالحة للزراعة في فلسطين عام 1934م [8]

المنطقة	الأراضي الصالحة للزراعة	الأراضي الغير صالحة للزراعة
الجبال المأهولة	2045,5000 دونم	3,674,000 دونم
الجبال القاحلة	-	2,738,000 دونم
السهول الساحلية	2,663,000 دونم	555,000 دونم
سهل عكا	379,000 دونم	171,000 دونم
سهل مرج ابن عامر	375,000 دونم	280,000 دونم
سهل الحولة	126,000 دونم	065,000 دونم
غور الأزرق	554,000 دونم	075,000 دونم
بئر السبع	1,500,000 دونم	518,000 دونم
الصحراء في النقب	-	878,000 دونم
المجموع	8,044,000 دونم	18,114,000 دونم

[8]: الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد (1) ص 428 إسحاق قطب.

يتضح من الجدول أن مجموع أراضي فلسطين بلغ 26,158,000 ستة وعشرون مليوناً ومائة وثمانية وخمسون دونماً، منها 44% فقط أراضي صالحة للزراعة في المناطق الشمالية والوسطى والساحلية الجنوبية، أما الباقي من الأراضي غير صالحة وتشكل 56% من مساحة فلسطين.

الزراعة في ظل الانتداب البريطاني

تحولت الملكية الزراعية الإقطاعية ومزارع الفلاحين الأغنياء إلى مزارع رأسمالية؛ أي أن العلاقات الإقطاعية سادت طوال فترة الانتداب البريطاني، فوقع الفلاحون فريسة الجشع من قبل التجار وملاكي الأراضي والمرابين الذين فرضوا شروطاً قاسية من الأجور وبدلات الإيجار وإجراءات نظام الحصص.

وقد ساعدت حكومة بريطانيا على توسيع ملكية الأراضي لليهود وذلك ضمن التسهيلات التالية:

1) منح المندوب السامي هربرت صموئيل وهو أول مندوب سامي يهودي يتسلم هذا المنصب، وقدم هذا المندوب مساحات من الأراضي الأميرية إلى لجنة صهيونية مثل امتياز الكبارة والحولة، ومساعدة الجمعيات الصهيونية في الاستيلاء على أملاك الغائبين من غير الفلسطينيين، فوصلت مساحة الأراضي التي امتلكتها اليهود عام 1946 وتقدر بمليون دونم.
2) حيثما كان الأهالي يمتنعون عن دفع الغرامة كانت السلطة تصادر ما في القرية من أنواع الحبوب والدجاج والخيول والمواشي، وتسخرها لنقل الأشياء المصادرة على ظهورهم إلى السيارات التي كانت كثيراً ما تبعد عن القرية مسافة طويلة.
3) كانت الأراضي في منطقة سهل مرج ابن عامر وبيسان والحولة وعكا ووادي الحوارث ملكاً للسلطان العثماني وكان الفلاحون يستغلونها ويدفعون الضرائب، ثم منح السلطان صيارفة يقيمون في بيروت كسماسرة كبار ثم بيعت هذه الأراضي إلى تجار أغنياء في بيروت، وقام هؤلاء ببيع هذه الأراضي للصهاينة وقد شملت هذه الأراضي 22 قرية عربية في سهل مرج ابن عامر، وقد ساعدت حكومة الانتداب الصهاينة على طرد السكان من قراهم وتشتيتهم تحت الضغط والتهديد وإعادة توزيع سكان هذه القرى والقبائل في وادي الحوارث، وقد اقتلعوهم من الأرض التي عاشوا فيها عدة قرون وكانوا يفلحونها ويأخذون مالهم من حصة لإعالة أسرهم، ولو كان هناك ذرة من العدل والرحمة لكانت السلطات أجبرت الملاكين الصهاينة لإبقاء الفلاحين بالأجرة وإبقائهم في قراهم وبيوتهم.

4) فرض الضرائب على الأراضي وسن قوانين تفرض مصادرة الأرض التي تترك بدون زراعة وتعطى لمن يزرعها ويستثمرها، وكان هيربرت صموئيل المندوب السامي هو من أصدر هذا المرسوم وراقب الأراضي المتروكة، ويستغل الفرصة لينقض عليها ويوعز إلى عملاء الصهاينة للإبلاغ عنها لهيربرت، وكان يترصد كل شبر من أراضي تليق بهم وأعطاهم أراضي واسعة في معاهدة رودس وأراضي في الروحة التي كانت شمال المثلث.

الانتداب البريطاني ودوره في تحقيق وعد بلفور

توافقت مصالح الاستعمار البريطاني مع الأطماع الصهيونية، إذ سبق لوزارة المستعمرات البريطانية أن تضع خطة لمئة عام لاستعمارها في العالم. وفي عام 1906م رأت الإمبراطورية الاستعمارية بأن الاستعمار في طريق الزوال بعد استنكار العالم له. لذلك التقت أماني السياسيين البريطانيين مع رغبة الصهاينة بتأسيس وطن لهم، واستقر الرأي على أن يؤسس البريطانيون دولة لهم في فلسطين للتخلص من مشاكل اليهود (المسألة اليهودية في أوروبا):

1- يضمنوا بأن هذه الدولة الدخيلة والغريبة عن العرب ستفصل وحدة الشعب العربي الإفريقي عن الشعب العربي في آسيا.

2- أن تكون قناة السويس بيد صديقة تضمن حرية الملاحة.

3- امتلاك المناطق التابعة للدولة العثمانية المريضة عن طريق عصبة الأمم وبمواجهة سايكس بيكو ووعد بلفور الذي أصدره الوزير بلفور البريطاني في 2 تشرين أول 1917م.

4- بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تقرر أن تحتل بريطانيا العراق والأردن وفلسطين بينما تحتل فرنسا سوريا ولبنان.

وقد بدأت بريطانيا لتحقيق وعد بلفور وكأنه وعد رباني رغم احتجاج زعماء فلسطين على الإجراءات التي اتخذتها بريطانيا وهي إجراءات غير أخلاقية في السطو على الأراضي العربية، ومضايقة الفلاحين، وتسليط الجيش على الثائرين ضد الوعد. وقام عدد من الزعماء الفلسطينيين بالسفر إلى لندن لإقناع السيد ونستون تشرتشل على الوفاء بوعودهم، وكان رد الوزير تكلموا بكل شيء ما عدا الحديث عن إبطال وعد بلفور من هنا (هو خط أحمر) ولا يجوز لكم أن تتدخلوا فيه.

هبَّ الشعب الفلسطيني ضد السياسة الإنكليزية وقامت الثورات والمظاهرات وأرسلت بريطانيا لجنة شو وقدمت اللجنة تقريراً شبه منصف، فأصدرت وزارة المستعمرات كتاباً أبيضاً تحدد فيه الهجرة اليهودية، ولكن السياسة الإمبراطورية الاستعمارية كعادتها تخلت عمداً

عن وعودها وتابعت ممارسة تهدئة الخواطر بالكذب والمماطلة كما نراه اليوم من حكام الولايات المتحدة ضد المسلمين والعرب هذه المرة بحجج واهية وهي محاربة الإرهاب دون معرفة (تعريف الإرهاب وأسبابه)، إن مثل هذا المصطلح أو المفهوم أطلقه الصهاينة لأول مرة على الفدائيين الذين يسعون للرجوع إلى منازلهم بينما هم أول من مارس الإرهاب في فلسطين (مناحين بيغن في تفجير فندق الملك داوود في القدس والذي كانت إدارة الانتداب تتخذه مقراً لإدارتها. وبدلاً من أن يحاسب هذا المجرم على جرائمه التي استخدمها ضد بريطانيا، زارها في عام 1977م وهو رئيس دواة الصهاينة رغم احتجاج واستنكار البريطانيين.

لقد استعانت دولة الانتداب بالجيش البريطاني لإخماد ثورات فلسطين، إذ بلغ عدد أفراد القوات البريطانية عام 1936م إلى 60ألف جندي أنزلتهم لإخماد المناطق الثورية لحماية اليهود الذين زرعتهم في فلسطين.

إن أكبر المعارك الدامية التي حدثت في الثورة معركة يعبد قرب أم الفحم حيث تمركز الثوار في أحراشها، واستخدم البريطانيون الطيران والمدفعية والمصفحات، وقتل فيها زعيم الثورة الشيخ عزالدين القسام وخمسة وعشرون من رفاقه.

وقد قامت معركة شبيهة لها قرب بلدة إجزم في منطقة جبلية في سفوح جبل الكرمل الجنوبي في موقع اسمه (أم الدرج) وكان الثوار قد أنهوا طعام الغداء عندنا في ديوان آل ماضي، وما إن وصلوا إلى أم الدرج كانت الطائرات البريطانية قد رصدتهم وأوعزت إلى القوات البحرية ملاحقتهم، وعند العصر بدأت المدفعية تمطرهم بالقنابل لكن الثوار توزعوا بين الصخور والأحراش وقاموا بالالتفاف على المشاة القادمين فأوقعوا فيهم الخسائر، وكان عمي مسعود الماضي (الثابت) أن رصدته طائرة فأصابته بشظية، وسبق له أن أطلق نار بندقيته وهو معروف بإصابة الأهداف، ويقول صديقه الذي معه أنني نصحته أن يخلي مكانه لأن الطيران كشفنا وكان رده علي (أنت اذهب ولن أتحرك من مكاني) وما هي سوى لحظات وجاءت طائرة ثانية فأصابته ثانية، وتوفي ولم يعلم أن الطائرة الأولى التي أصابها قد هوت وتحطمت في سهل ابن عامر.

حكمت الدولة المنتدبة فلسطين (ثلاثون عاماً) من 1918م- 1948 م وكان همها الأساسي تأسيس دولة اليهود التي أعلنوها في: 28 نيسان 1948م أي قبل انسحاب بريطانيا حسب القرارات الدولية في 12 أيار 1948م، أي قبل شهر وثلاثة أيام إذ احتلت القوات الإسرائيلية عدة مدن منها يافا وحيفا وطبريا وصفد؛ إذ إن احتلال هذه المناطق بوجود بريطانيا مخالف لكل الأعراف والقوانين الدولية فيما كان هدف بريطانيا هو تدمير الشعب الفلسطيني وإفقاره، بينما يعطي كامل الصلاحيات للصهاينة بالسيطرة على ما يريدون.

لقد أعلن الصهاينة قيام دولتهم في 28 نيسان 1948م واعترفت بها الدول الاستعمارية، وفي عام 1949م تم تسليم منطقة المثلث التي تضم أم الفحم ويعبد وعارة وعرعرة إلى إسرائيل بموجب معاهدة رودس بين الأردن وإسرائيل وحسب التقسيم الإداري الإسرائيلي

وقد جردت قلقيلية من أخصب أراضيها بموجب معاهدة رودس، وتقلصت أراضي سكان البلدة بشكل غير منطقي، إذ حرمت عليهم أراضيهم التي استغلوها مئات السنين، وحللت للصهاينة المعتدين لتقوم المستعمرات عليها واستغلالها بما عليها من بيارات برتقال وأبار ارتوازية حتى المحصول من حبوب وبقول استولوا عليه، وحرموا أصحابها منها، وكان هذا الحادث مؤلماً ومؤسفًا لدى سكان البلدة، وكان الحكم قاسيًا وضربةً قاسيةً لحياة الفلاحين، وخيانةً كبرى لكل وطني، ووصمة عار للدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا ثم الدول الأوروبية ثم أمريكا هذه المجموعات التي ما زالت تعمل ضد الأخلاق والحق الإنساني، إذ تجردت هذه الدول المساندة للصهيونية من الشعور الديني والإنساني في محاربة الإسلام بذريعة الإرهاب، إرهاب القاعدة التي هم من أوجدها وسلحها وقواها في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي.

الزراعة في زمن الانتداب البريطاني

لم تشهد قلقيلية في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين تطوراً إدارياً مذكوراً، بل كانت سياسة الانتداب تتعمد إبقاء قلقيلية على ما هي عليه، ووقفت عملية تطورها وحرمانها من المستحقات الإدارية نتيجة لمقاومة أهالي المنطقة للانتداب البريطاني وتصديهم لمحاولات الاستيلاء على الأراضي في المنطقة لضمها للمستعمرات اليهودية.

وبقيت قلقيلية طول فترة الانتداب تعامل من قرى قضاء طولكرم رغم الزيادة في التعداد السكاني وتطورها العمراني والزراعي[9].

فترة الحكم الأردني

بعد أن ضمت الضفة الغربية للأردن بإطار المملكة الأردنية بعد نكبة عام 1948م، إذ أخذت قلقيلية تستعيد حقها المهضوم في التمثيل الإداري استجابة للواقع الذي أبداه أهالي قلقيلية وما قاموا به من جهود لإعادة بناء مدينتهم المدمرة، واستصلاح أرضهم الجبلية بعد فقدان معظم أراضي سهولهم، وبروز أبناء البلد في مجال العلم والآداب والصحافة والسياسة.

وبعد أن أصبحت ناحية من نواحي طولكرم في الخمسينات أصبحت منذ مطلع 1965م مركزاً لقضاء مستقل يسمى قضاء قلقيلية. ويتبع هنا القضاء القرى المجاورة (جيوس- حبلة-عزون- النبي إلياس- فلامة- كفر ثلث- رأس عطية-كفرعبوش- كفر جما) وما جاور هذه القرى من خرب وعزب.

9: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

شكل (8)

سنوات الاحتلال

منذ حزيران 1967م واحتلال إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء ظهرت النوايا المبيتة لقلقيلية؛ إذ قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بتشريد أهالي البلدة ونسفت عن ما يزيد على 80% من منازلها، وعمدت قوات الاحتلال إلى تطبيق سياسة الانتداب للانتقام من قلقيلية، وضمت إلى لواء طولكرم بحجة اتباع آخر تقسيم إداري في عهد الانتداب البريطاني، وظلت قلقيلية محرومة طيلة سنوات الاحتلال رغم التطور الهائل للمدينة وتفوقها الاقتصادي الملحوظ.

السلطة الوطنية الفلسطينية

في يوم 1995/12/17م دخلت طلائع الأمن الفلسطيني ورحل عنها آخر جندي من جنود الاحتلال، فأصبحت البلدة محررة وأعلن ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين عن تسمية قلقيلية رسمياً بالمحافظة.

لقد سبق وفقدت جميع أراضيها السهلية الزراعية في اتفاقية رودس مما جعل أهل قلقيلية يستصلحون الجبل، ويحولوا الصخر إلى تراب عن طريق بناء المصاطب على المنحدرات الجبلية والتلية، ويزرعوا ما يريدون. وقد شهد لهم بذلك قائد الجيش الأردني آنذاك جلوب باشا (أبو حنيك) وكتب عنهم في كتابه "جندي بين العرب" ولكن لم يدم هذا لفترة طويلة ففي حرب 1967م استولت إسرائيل على بقية أراضيها وحولوها إلى مستعمرات، وجاءت نكبة قلقيلية الثالثة في انتفاضة الأقصى حيث قامت إسرائيل بإحاطة مدينة قلقيلية من جميع الجهات بالجدار العازل، ويبلغ عدد سكانها 59965 نسمةً كلهم في الأسر ولا اتصال مع العالم الخارجي إلا عبر بوابة واحدة تستخدم للدخول

والخروج منها تحت رقابة مشددة، كما حوصرت بعض القرى الأخرى كقرية حبلة ضمن الجدار العازل وأخرى بين الجدار العازل والخط الأخضر مثل عزون العتمة وغيرها. هذا تطلب اقتطاع الكثير من الأراضي العربية كما أثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية المتبادلة بين المدينة وقراها[10].

[10]: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

الفصل الثالث

التعليم والثقافة في قلقيلية

لم تتحمس الدولة العثمانية بالعلم والثقافة بل كان هم المسؤولين عن نهب الخيرات من الفلاحين، وكان حفظ القرآن وتلاوته هو الدافع للدولة بأن يتعلم الناس؛ لذلك كثرت المكتبات في المساجد ودور العبادة، وكان الأغنياء يأتون بمعلمين براتب يعلمون أبناءهم وبعدها يرسلونهم إما إلى بيروت أو على الأسيتانة (إسطنبول) لإكمال تعليمهم، وكان أكثرهم يتقنون اللغة التركية، وتخرجوا محامين في أغلب الأحيان ومنهم من يرسل أولاًده لإتمام دراسته بالأزهر في أرض الكنانة (مصر).

وفي العقد الثاني من القرن العشرين أي في عام 1922م كان في قلقيلية مدرسة ابتدائية كاملة من بين ست قرى قضاء طولكرم، وتقسم مدارس قلقيلية إلى ثلاثة أنواع:

أ- **المدارس الحكومية:** إذ كان عددها 4 مدارس عام 1967م بنين 3 مدارس عدد طلابها 1338 طالباً، مدرسة بنات عدد طلابها 593 طالبة.

وفي العام الدراسي 1990-1991م بلغ مجموع طلاب الحكومة:

الذكور:

1) المدرسة السعدية الثانوية وعدد طلابها 376 طالباً وفيها من الصف(1ثانوي-2ثانوي) وهو التوجيهي، وعدد شعبها 11 شعبة.
2) المدرسة السعدية الإعدادية وعدد طلابها (526) وفيها من الصف (السادس ابتدائي- لعاشر) وعدد شعبها (23) شعبة.
3) مدرسة المرابطين الأساسية الابتدائية للصفوف الابتدائية من الأول إلى السادس، وعدد طلابها (674) طالباً، وعدد شعبها (13)، وهناك للأطفال: مدرسة بنات أبو علي إياد.
4) مدرسة قلقيلية الأساسية للبنين: للصفوف الابتدائية من الصف الأول إلى الصف السادس وعدد طلابها (584) طالباً وعدد شعبها (13) شعبة.

الإناث:

1) مدرسة البنات الثانوية عدد طالباتها (256) طالبة، فيها من الصف السابع إلى الصف الثالث الثانوي (توجيهي) وعدد شعبها (8) شعب.
2) مدرسة شيماء الثانوية للبنات (كانت ابتدائية سابقاً وإعدادية، ثم فصلت الابتدائية الدنيا، ثم فصلت الابتدائية العليا بعد ذلك عدد طالباتها (407) طالبة، وفيها من الصف السابع إلى الثالث ثانوي وعدد شعبها (12) شعبة.
3) مدرسة الإسراء الأساسية: عدد طالباتها (629) طالبة وفيها من الصف الأول إلى الصف السادس وعدد شعبها (13) شعبة.
4) مدرسة بنات قلقيلية الأساسية: وعدد طالباتها (591) طالبة، وفيها من الصف الرابع إلى الصف السادس وعدد شعبها (12) شعبة.

ب- مدارس وكالة الغوث الدولية: أنشئت بعد النكبة عام 1948م وهما مدرستان.

1- **مدرسة للبنين:** ابتدائية إعدادية تضم (742) طالباً عام 1967م وتضم الآن نحو 550 طالباً.

2- **مدرسة بنات:** وهي ابتدائية إعدادية تضم (178) طالبة 1978م وتضم الآن (500) طالبة.

ج- المدارس الخاصة: وصل عددها عام 1991 نحو خمس مدارس وروضات أطفال.

1- مدرسة تابعة للجنة الزكاة في قلقيلية في حي كفر سابا شرق البلد مؤلفة من طابقين.
2- مدرسة ثانية للجنة الزكاة في قلقيلية في حي آل زهران في الغرب وهي مستأجرة.
3- روضة المستقبل أسسها الأستاذ أحمد محمود صالح عودة في بيته الكائن في حي آل داوود الجنوبي واعترفت بها الدولة عام 1991.
4- مدرسة مسقط تبرع بها سلطان عمان(مسقط).

قرى لواء قلقيلية

عرف سكان قلقيلية وقراها بحبهم للعلم، وقد ظهرت حركات علمية نشطة في أوائل القرن العشرين إذ تشكلت مدارس ابتدائية كاملة الصفوف في قرى [دير الغصون- بلعا-قاقون- عتيل- باقة الغربية- شويكة- الطيبة- وقلقيلية] بينما كان أعلى صف الخامس وفي زيتا والقرى الأخرى الرابع الابتدائي.

وفي عام 1945م- 1946م افتتح صف أول ثانوي في قلقيلية وتلاه الصف الثاني ثانوي للعام الدراسي 1947م- 1949م[11].

افتتاح منازل الطلاب في قلقيلية وغيرها:

لما كان الكثير من طلاب العرب الذين عرفوا بالذكاء والتفوق يرغبون في الانتقال إلى أرقى من مدارسهم، أو كان آباءهم يرغبون في إتمام دراساتهم خارج إقامتهم من (ابتدائي- إعدادي- ثانوي) فقد أنشأت إدارة المعارف منازل للطلبة عام 1936م في مدن طولكرم وجنين واللد. ثم أضيفت إليها منازل نصف رسمية أقيمت على التوالي عام 1940م في المجدل وقلقيلية والفالوجة عام 1941 وتبعتها في دورا 1942م وصفد 1944م. وفي هذه المنازل نصف الرسمية يكون الطلاب تحت إشراف مديري المدارس ويتحمل الطلاب نفقات سكنهم والمأكل والمشرب وغير ذلك من نفقات، وقدر عدد الطلاب الذين يقيمون في الفروع الدراسية عام 1946م نحو 500 طالب.

وفي عام 1990م فتحت في قلقيلية مكاتب للإدارة المدنية بعد أن تم إنشاء مبان لها وأصبحت قلقيلية مركزاً للواء يحمل اسمها وألحقت به قرى أخرى 34 قرية هي: [12]

القرية				
قلقيلية	كفر ثلث	جين صافوط	باقة الحطب	مغارة الضبعة
عزون	كفر جمال	حجة	صير	المدور
حبلة	كفر زباد	جيت	فلامية	بيت أمين
النبي إلياس	كفر عبوش	فرعطة	عسلة	خربة الأشقر

11: الموسوعة الفلسطينية، مجلد عام 3 ص 44.

12 : mailto:www.wikipidia.com

جيوس	كفر قدوم	أماتين	عزبة الطبيب	عرب أبو فردة
جيت	كفر القف	الفندق	رأس طيرة	وادي الرشا
	عرب الرماضين	رأس عطية	عزبة جلعود	عزبة سلمان

وألحقت مدارس قرى اللواء بمكتب التربية والتعليم في قلقيلية، وكذلك أصبحت الشؤون الدينية والقضائية الخاصة بتلك القرى تابعة للإدارة المدنية والقضائية في قلقيلية. وألحقت دائرة التربية والتعليم بالسلطة الفلسطينية في قلقيلية وشمال الضفة في 1994/8/25م، ثم سلمت 7 صلاحيات أخرى للسلطة الفلسطينية في رام الله ونابلس ثم في قلقيلية في 1995/9/10م. وفي العام الدراسي 1993م- 1994م سبق لبلدة قلقيلية أن كان فيها مدرسة ابتدائية ضمت 124 طالباً[13].

الأعلام

ينسب إلى قلقيلية كثير من الأعلام، رجال علم وأدب وقضاة:

1- الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن مفلح شمس الدين القلقيلي (776- 852 هـ) (1374- 1447م)

شمس الدين القلقيلي المقدسي الشافعي. ولد ونشأ في قلقيلية. واشتغل بالعلم فحفظ القرآن وكتباً في الفقه والعربية.

قدم إلى بيت المقدس في حدود سنة (820هـ)1416م فاشتغل مدة بالخياطة، "وكان يقرئ الأطفال" وكان يقرئ في البيوت الخاصة، فكان يقرئ أولاد الشيخ برهان الدين بن غانم وغيرهم.

نزل شمس الدين في عدد من المدارس، وأكبّ على الكتابة والاشتغال بالعلم، فسمع صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما من جمال الدين الفرخاوي وغيره من العلماء. وأكثر من قراءة الحديث حتى صار " قارئ الحديث الشريف" في بيت المقدس.

[13]: الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 2 ص 938 عبد الكريم رافق.

وقرأ في السيرة والعربية، وكان يستحضر السيرة النبوية لابن هشام، والمقامات، وأصبح شمس الدين عالماً فاضلاً، وروي له الشعر في رثاء ابنه، وكانت وفاته في بيت المقدس[14].

2- **بهاء الدين داود بن إسماعيل القلقيلي توفي عام 380هـ.**

3- **أحمد بن محمد بن أحمد القلقيلي وكان حسن الصوت ناظماً توفي عام 846هـ.**

4- **الشيخ المجاهد الحاج عبد الفتاح محمود خدرج**

من مواليد قلقيلية عام 1913م، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي نشأ في بيئة متدينة، وتوجه في شبابه إلى مصر والتقى بالشيخ حسن البنا، كما عمل في مصر على التعريف بقضية الشعب الفلسطيني، والمخاطر التي تتعرض لها فلسطين من استيلاء على الأراضي، ثم إقامة المستعمرات وتوطين اليهود فيها، كتب الله له الشهادة التي كان يتمناها في 1948/4/21م، قرب مستعمرة رمات هلكوفيش بعد أن يسر الله له إتمام واجبه الديني بأداء فريضة الحج عام 1946م.

5- **وليد أحمد نمر (أبو إياد) (1934– 1971)**

قائد فلسطيني وعضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وعضو القيادة العامة لقوات العاصفة، ولد في بلده قلقيلية وأنهى فيها دراسته الابتدائية والثانوية فحصل على شهادة المترك سنة 1953 والتحق سنة 1954 بدورة تدريبية للمعلمين في العراق.

انتقل وليد أحمد نمر وكنيته أبو علي إياد إلى المملكة العربية السعودية فعمل مدرساً لمدة ثماني سنوات (1954_1962) ثم انتقل إلى الجزائر عقب استقلالها فأمضى سنوات ثلاث مساهمًا في عملية التعريب فيها تفرغ للعمل العسكري في الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها في 1965/1/1

وفي سنة 1966 انتقل إلى الضفة الغربية حيث أوكلت إليه مسؤولية الإعداد للعمل العسكري في الأرض الفلسطينية المحتلة سنة 1948، قاد عدة عمليات عسكرية ضد العدو الصهيوني منها، عملية مستعمرة بيت يوسف بتاريخ 1966/4/25 والهجمات على مستعمرات المنارة، وهونين، وكفار جلعادي.

[14] : الموسوعة الفلسطينية عام مجلد 3 ص 589.

انتقل بعد ذلك إلى سورية وقام بتدريب عناصر قوات العاصفة فيها، وقد أصيب خلال التدريبات في إحدى عينيه، وعقب عدوان حزيران 1967 انتقل إلى الأردن فأوكلت إليه قيادة قوات الثورة الفلسطينية في منطقة عجلون،حيث قام بتوجيه مجموعاته عبر نهر الأردن لتقوم بعمليات ناجحة ضد العدو الصهيوني وقواته ومستعمراته.

عقب أحداث أيلول سنة 1970 في الأردن انتقل بقوات الثورة الفلسطينية إلى منطقة جرش وعجلون وفي عام 1971 خاض معركة ضارية مع قوات الجيش الأردني حيث استشهد بتاريخ 7/27 في ذلك الصدام، وباستشهاد القائد المعلم أبو علي إياد فقدت الثورة الفلسطينية مناضلاً صلباً وقائداً كبيراً. شارك الشهيد أبو علي إياد في النشاطات السياسية الكثيرة لحركة فتح بالإضافة لنشاطه العسكري فكان ضمن الوفود التي قامت بزيارات لبلدان أجنبية ولا سيما الدول الاشتراكية.

6- **الأستاذ إبراهيم الشنطي**

وهو صاحب جريدة الدفاع الفلسطينية المشهورة التي تأسست عام 1934 في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين إذ كانت منبراً للدفاع عن حق الشعب الفلسطيني وقضيته، داعمة للمقاومة بكل أشكالها من إضرابات وتصدي للظلم بالسلاح المشروع حتى إغلاقها بقرار من وصفي التل رئيس وزراء الأردن أحداث 1970 إذ تم مصادرة موجوداتها من آلات ومعدات لصالح جريدة الرأي الأردنية، وقد منح وسام القدس للثقافة والفنون عام 1990م, تولى منصب نقيب الصحفيين الأردنيين عام 1953م، وتولى بعد ذلك نفس المنصب بعد أن فاز بالتزكية في انتخابات النقابة عام 1969م وهو أول رئيس لمجلس النقابة لمدة 16 عام حتى حلها.

7- **الشيخ أحمد الداعور**: لقد اشترك مع العلامة الشيخ تقي الدين النبهاني في أواسط القرن العشرين في تشكيل حزب التحرير الإسلامي، الذي ينادي باسترجاع الخلافة والدستور الذي وضع لتحقيق مفرداته ومبادئه شرحت وفصلت لتتماشى مع الأنظمة المعاصرة مثل بين مال المسلمين بدل وزارة المالية وما يتعلق بها من مكوس وضرائب وزكاة.

8- **الشيخ سعيد صبري**: رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس وخطيب المسجد الأقصى المبارك حتى العقدين السادس والسابع من القرن العشرين.

9- **الشيخ عكرمة سعيد صبري**: تولى الإفتاء في الديار الفلسطينية والخطابة في المسجد الأقصى المبارك وله مواقف ونشاطات وطنية في الداخل والخارج.

10- **الشيخ عبد الله القلقيلي**: تولى الإفتاء في المملكة الأردنية لمدة طويلة كما أصدر عام 1928 جريدة الصراط المستقيم اليافية.

11- **عصام محمد رامي الشنطي:** وهو المدير العام السابق لمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية، وعالم مخطوطات (شهود على هسترين العربي والإسلامي).

12- **د.أمين مورافي:** وهو من أبرز علماء الرياضيات الرقمية في الولايات المتحدة الأميركية، وقد سجل العديد من الاكتشافات العلمية في الرياضيات، وهو عضو في جمعية الرياضيات في الولايات المتحدة الأميركية. والتي تضم 34 عالماً.

أعلام قلقيلية (في موسوعة أعلام فلسطين)

1) **أحمد أبي بكر القلقيلي (757هـ – 857هـ – 1356 –1453م).**

2) **الشيخ العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ تقي الدين أبو بكر بن الوفا الحسيني الحنفي.**

شيخ الوفائية في القدس كان أولاً على مذهب الشافعي ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، كان له ذكاء مفرط ينظم الشعر الحسن، وكان حسن الشكل طيب النغمة في الذكر. توجه إلى الأناضول سنة 880هـ ، واجتمع مع الشيخ أحمد الكوراني وأركان دولة السلطان العثماني فأقبلوا عليه وأعلموا السلطان به فأحسن إليه إحساناً بليغاً، ثم اجتمع بالسلطان فأكرمه وبالغ في تعظيمه، واجتمع الناس عليه وصار لهم فيه اعتقاد واستمر ذلك إلى أن توفي شهر شوال سنة 882هـ بمدينة إسطنبول.

3) **أحمد بن أحمد القلقيلي (897هـ–1491 م).**

4) **خير الدين أبو الخير أحمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد القلقيلي المقري الحنفي،** وكان يحفظ القرآن ويؤديه بحسن الصوت وطيب النغمة واحترف بالشهادة مدة طويلة، وباشر عقود النكاح، ولما توجه إلى الكروم وقع عن بغلته فانكسرت رجله، وحمل إلى المدينة فمرض أياماً، وتوفي آخر يوم من رجب عام 897هـ.

5) **حاتم بن سنان الجبلي**

مُحَدِثْ، ينسب إلى قرية جبلة قرب بلدة قلقيلية، قال ابن نقطة: وجدت بخط عبد الوهاب بن عتيق بن راذان المصري حدثنا حاتم بن سنان بن بشر الجبلي قال: حدثنا أحمد بن حاتم الأفاشي قال سئل ربيعة بن حاتم بن سنان عن نسبه بمصر وأنا أسمع فقال لي: جبلة قرية بالقرب من عسقلان، وكان له بها دار فاستوطنها رجل من أبيه وهبها له.

6) داود إسماعيل القلقيلي (780 هـ–1187م) وهو مفتي.

7) بهاء الدين داود بن إسماعيل القلقيلي

نسبةً إلى قلقيلية التي أصبحت محافظة. وقال ابن العماد الحنبلي (كان قاضياً – شافعياً درس وأفتى وسكن في حلب) وذكره للقاضي علاء الدين في تاريخه. توفي في عام 780هجرية.

8) رفيق عساف أبو نظام (1931– 1966م)

قائد مجموعة العودة، ولد في قرية عزون تقع إلى الشرق من قلقيلية وعلى مسيرة 25كم من طولكرم سنة 1931م وكان يقود مجموعة من عام 1958م حتى عام 1966 وكانت مهمته جمع المعلومات عن العدو الصهيوني، وتنفيذ بعض العمليات القتالية، فقام بعمله كأفضل ما يكون. وقد حاولت العصابات الصهيونية إلقاء القبض عليه بشتى الوسائل والسبل فلم تستطيع ذلك وبقي على رأس مجموعته الفدائية حتى استشهد في 17 تشرين الأول سنة 1966 مخلفاً وراءه أربعة أطفال.

9) زهير أبو شايب (1378هـ) (1958م)

ولد زهير أبو شليب (وهو زهير ياسر قاسم محمد عبد الله) في قرية دير الغصون عام 1958 وبعد أنهى دراسته الثانوية التحق بجامعة اليرموك في الأردن وتخرج منها حاملاً الإجازة في اللغة العربية وآدابها. كتب الشعر ونشر أشعاره في الصحف والمجلات العربية كما عمل في مجال التصميم والإخراج والكتابة الصحفية وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين.

10) محمد القلقيلي

صحفي من أعلام القرن العشرين، ولد محمد القلقيلي في بلدة قلقيلية وأتم دراسته الأولية في بلدته، ثم انتقل إلى مصر حيث التحق بالأزهر. وتخرج فيه وعاد إلى بلده واستلم رئاسة البلدية، وسبق له أن درس على الشيخ الإمام محمد عبده, أصدر جريدة الكواكب في القاهرة، وهي أسبوعية صدرت عام 1916م واستمرت لسنة 1919 وكان يكتب فيها أحمد شاكر الكرمي وعادل زعيتر ومحمد على الطاهر وأمين سعد وسليمان التاجي الفاروقي حنا خليل والخوري البيتحالي الكاتب خليل بيدس وصدر لمحمد القلقيلي كتاب (من هنا وهناك).

11) مصطفى محمد الجعيدي (1363هـ –1944م)

شاعر ولد مصطفى في بلدة قلقيلية عام 1944م. يحمل الإجازة في الآداب كتب الشعر ونشر إنتاجه في الصحف والمجلات العربية، وهو عضو في رابطة الكتاب الأردنيين. له ديوان الجعيدي ثلاثة أجزاء.

12) ممدوح نوفل (1944– 2006م)

قائد وباحث ولد ممدوح عام 1944م في مدينة قلقيلية وتلقى علومه الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدينته، ثم التحق بدار المعلمين، بعد تخرجه عمل مدرساً في مدارس الضفة الغربية. انخرط في العمل الحزبي والسياسي مبكراً فانتمى إلى حركة القوميين العرب عام 1961م، وشارك في نشاطاتها الطلابية والسياسية والجماهيرية في الضفة الغربية، وانتقل للجناح العسكري للحركة (شباب الثأر) ثم (أبطال العودة) عام 1965وشكل مجموعة مسلحة في منطقة قلقيلية عام 1966م وبعد هزيمة حزيران ترك التدريس والتحق بالعمل الفدائي، وساهم في تأسيس الجناح العسكري للجبهة الديموقراطية وانشقاقها عن الجبهة الشعبية في شباط 1969 وتولى قيادة قطاع عسكري وفي عام 1972 تولى مهمة قيادة قواتها العسكرية حتى عام 1988م وكان عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني منذ عام 1971م، غادر بيروت بعد حرب لبنان، وساهم في إعادة تنظيم القوات الفلسطينية وتولى مهمة قيادة الثورة هناك لأعوام 1986-1987-1988 م ثم غادر لبنان إلى تونس بعد الانتفاضة في أيلول 1988 وعين عضواً في اللجنة العليا لشؤون الوطن المحتمل، وعضو قيادة العمل اليومي للانتفاضة التي كان يترأسها المرحوم ياسر عرفات، وعين عضواً في اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية (عن الجبهة الديموقراطية) وشارك في مؤتمر مدريد عام 1991م مندوباً عن الجبهة الديموقراطية. صدر له:

- قصة اتفاق أوسلو (طبخة أوسلو) 1995.
- المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية مدريد واشنطن (الانقلاب).
- البحث عن الدولة الفلسطينية عام 2000.
- الانتفاضة انفجار عملية السلام 2002.
- انتخاب السيد الرئيس 2005.
- مغدوشة (قصة حرب على المخيمات في لبنان) 2006.
- كما كتب مقالات وأبحاثاً سياسية عديدة نشرها في الصحف العربية الفلسطينية: توفي عام 2006 م إثر مرض عضال.

13- **عبد الله القلقيلي(1316هـ-1899م)**

مفتي وباحث، ولد الشيخ عبد الله في بلدته قلقيلية عام 1899م وأنهى دراسته الابتدائية في المدرسة ببلده، وكان يديرها الشيخ حمد العورتاني المعروف بعلمه وزهده وتقواه. وفي عام 1912 التحق الشيخ عبد الله بالأزهر الشريف بمصر فأمضى فيه ست سنوات، فنال الأهلية ثم التحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية وخلال هذه الفترة نشر مقالاته في جريدة (الكوكب)التي كانت يصدرها بالقاهرة الشيخ محمد القلقيلي، وبسبب تفوقه كلفه الدكتور أحمد ضيف وكان أستاذاً للأدب العربي في كلية الآداب بالجامعة المصرية بإلقاء محاصرتين حول (اللفظ والمعنى في كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري فكانتا قيمتين ووافيتين من جميع الشروط فنشرها الشيخ محمد في (الكوكب) ولافتاً من الدكتور أحمد ضيف وزملائه العاملين بالحقل الأدبي بسبب علاقته المتينة مع العلماء والأدباء والمثقفين المصريين وتأثره بهم، وبسبب دوافعه الدينية والوطنية التحق بالحركة الوطنية المصرية بزعامة الزعيم سعد زغلول فاكتشفته السلطات فعاد إلى فلسطين لكي ينجو من الاعتقال.

كان القلقيلي ينوي العودة إلى مصر لكن علماء فلسطين طلبوا منه البقاء فقبل التدريس في ثانوية العامرية، وشرع في تعليم الدين للغة العربية وآدابها, ثم انتقل إلى ثانوية غزة لكنه رفض نقله ثم قدم استقالته وعاد إلى يافا حيث عين أستاذاً للغة العربية وآدابها في مدرسة الفرندز وحصل على امتياز لجريدة يومية أسماها (الصراط المستقيم) وصدر العدد الأول منها في يافا يوم 1925/9/2م, فكانت مسرحاً لأقلام الكتاب والأدباء والسياسيين, وكان للشيخ القلقيلي باع طويل في هذا المجال وظلت (الصراط) على نهجها حتى وقوع النكبة عام 1948 حين طرد الفلسطينيون من بلدهم، فاتجه الشيخ إلى سورية حيث عين أستاذاً للعربية في ثانوية درعا ومنها إلى دمشق حيث عين مدرساً في ثانوياتها ولم ينفك القلقيلي عن نشر مقالاته في جريدة (ألف باء) لصاحبها يوسف العيسى وفي مجلة التمدن الإسلامي, ثم أسند إليه منصب الإفتاء، إذ كللت ثقة علماء المسلمين في العالم الإسلامي وأجاب عن عشرات الأسئلة الدينية الموجهة إليه من أنحاء العالم الإسلامي فكان يجيب عنها بفتاوى معللة تعليلاً عصرياً مقبولاً وكانت فتاواه تنشر في مجلة (هدى الإسلام) وظل في منصب الإفتاء إلى أن أحيل على التقاعد في نهاية عام 1967م.

من مؤلفاته:

- المجموع الأول: أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة حية طبع عام 1954م.
- فتاوى علماء الدين في موضوع الوعظ والإرشاد طبع عام 1955م.

- من وحي رمضان: مجموعة أحاديث كتبها خلال شهر رمضان طبع عام 1956م.
- الفتاوى الأردنية: يتضمن هذا الكتاب الفتاوى التي أصدرها فضيلته إبان عمله مفتياً عاماً في الأردن طبع عام 1969م.

14-عصام محمد الشنطي (347هـ- 1929م)

أديب وباحث ومحقق، ولد في قلقيلية قلب فلسطين النابض وبلدة البرتقال والصحافة والصمود في اليوم الثامن عشر من شهر كانون الأول سنة 1929م، ينتسب إلى أسرة فلسطينية عربية ميسورة الحالة ومعروفة بوطنيتها وجديتها، فتح عينيه ليرى جده لأبيه ووالده دائبي العمل النافع والمفيد للجميع.

وقد تأثر عصام بهذه السلوكيات الحميدة من جد في العمل والاجتهاد وبرز في دراسته الابتدائية التي أنهاها في بلدته عام 1944م، وكذلك في المرحلة الثانوية التي أنهاها في مدينة طولكرم، ثم في دراسته الجامعية بالقاهرة، وعرف بين زملائه جميعاً بجلده على طلب العلم، وكان يكره الخرافات، وتمسك بالأخذ بأسلوب البحث العلمي. تفتحت عيني عصام وهو تحت الاحتلال البريطاني البغيض وقضى طفولته وهو يشاهد غطرسة المحتل الغاشم وجبروته في القتل والاحتجاز، وجمع المواطنين العرب من بيوتهم ووضعهم في ساحات عامة، وإفراغ أصحاب البيوت من سكنهم ثم الإيعاز لجنوده العبث بتلك البيوت يكسرون ويحطمون الأثاث، ويخلطون المؤن ببعضها، وينهبون كل شيء ثمين دون رادع أخلاقي أو ديني. كما كان يرى الجند وقد قيدوا ما طاب لهم من رجال ويحجزونهم للاستجواب، ويرى العذاب الأكبر في إهاناتهم من ضرب بالفلقات وشتمهم بألفاظ سيئة. كل هذا وعصام الطفل يراه ويسمعه شخصياً ويكتنزه في صدره وعروقه. كما رأى المرأة الفلسطينية البسيطة وهي تشارك الرجال في القتال وتفوت الفرص على الإنكليز للإمساك بالثوار بالذكاء والحيل، ولم يكن عصام قد بلغ الست سنوات، وقد سمع الناس يمجدون جهاد الشيخ عز الدين القسام وثورته المجيدة، كانت بلدته زراعية من الدرجة الأولى وتملك أسرته بيارات البرتقال والكروم والفاكهة إلى جانب كروم الزيتون.

وقد عاشر وتربى في جو العادات الفلسطينية الحقة من أمثال وغناء ودبكات والشبابة والأرغول وما زالت إيقاعات هذه الأصوات تهز كيانه وتدغدغ عواطفه.

وما إن اشتد عوده حتى بدأ يتدرب على السلاح مع زملائه طلاب المرحلة الثانوية وتميز بينهم وشارك في أحداث عام 1948 ببندقية والده الممتازة، وهي كندية الصنع في معركة محدودة ضد قوة يهودية على الجانب الغربي من بلدته، وإنه يذكر كيف كانت الحماسة تفعل فعلها في روح الشباب ممن يضحون بأنفسهم من أجل وطنهم ورد كيد العدو. وكان أزيز الرصاص في المعركة يحيط به من كل جانب

وكأنه في فرح دائم, وقد تمثل عصام بأستاذه شيخ أحمد الداعور وهو من مؤسسي حزب التحرير الإسلامي فيما بعد ومن بلدة قلقيلية، وأستاذه في المرحلة الابتدائية وكان هذا البطل قد أبلى في معارك قلقيلية عام 1948. وكان مثالاً للشجاعة والصلابة في قتال العدو رغم كبر عمره, توجه إلى القاهرة لإكمال دراسته عام 1948 م وهو يحمل هموم الدنيا على كتفه فقد أحس بضياع وطنه وتآمر الإنكليز لتنفيذ وعد بلفور، وتمكن في القاهرة من التعرف والإفادة من شخصيات فلسطينية وأردنية ثقافية مرموقة، وأفاد منهم الكثير من هؤلاء إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، ومحمود السمرة، ومحمد يوسف نجم، ومحمود زايد وكان محمود السمرة أستاذه في المرحلة الثانوية، وإفادته منه أعمق وأوضح وتخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1953م وحصل فيها على درجة الليسانس بتقدير جيد. جداً متتلمذاً على أساتذة عظام يذكر منهم الدكتور شوقي ضيف الذي تأثر بأسلوبه في الكتابة والبحث والتأليف والاهتمام بالمعنى وترتيب المادة في فقرات ترتيباً محكماً.

وعمل في أوائل علم 1954م بوزارة الشؤون الاجتماعية الأردنية في بيت المقدس، فاطلع على حجم مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وفداحة ظروف معاناتهم في المخيمات وشارك في هذه الفترة في إنشاء رابطة تضم موظفي الدولة في بيت المقدس يتداولون فيها شؤونهم وشؤون بلادهم.

ثم أتيح له منذ عام 1967م أن يعمل في جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات) في القاهرة ثم تونس والكويت في مجال تراث العرب الفكري المخبوء طي آلاف المخطوطات المتوزعة في أنحاء شتى أنحاء العالم عربية وإسلامية وأجنبية. وكان قد ضاعت بقية وطنه على إثر هزيمة حزيران فأفرغ نفسه في هذا التخصص وأرضى النفس المعتزة بقوتها وقوميتها وانكشف له على الحقيقة, كيف أن العرب أسهموا إبان عزهم في موكب الحضارة بسهم وافر في مختلف العلوم، وسافر إلى أكثر من بلد عربي وأجنبي وتوغل فيها وهو يبحث وينقب عن مخطوطات عربية، ويكشف عن النفيس منها لصالح أمته في الدول العربية فزار الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا وإيطاليا والهند وسورية واليمن، واكتسب في هذا المجال خبرة واسعة وأصبحت الرابطة بينه وبين مراكز الأبحاث العربية الموزعة في العالم والعلماء المعنيين بتراث العرب الفكري، وانتهى عمله مديراً بمعهد المخطوطات العربية ببلوغه السن القانوني في آخر عام 1989م، وبلغت إنجازاته ما يزيد عن خمسين عملاً ما بين كتاب وبحث ومقالة في اللغة والنقد والتراث العربي، وفهرسة المخطوطات، ومخطوطات فلسطين، وشخصيات فلسطينية وتراثية وغيرها. ومن نشاطاته:

- من كتاب خليل السكاكيني ص 96: ومن المدهش حقاً أن يكون الكاكيني متطرفاً في آرائه اللغوية خارجاً عن المألوف إلى التحديد بل حتى دعاته في حين أنه حافظ على جوهر اللغة وأصولها العامة، ولم يدع كالمتطرفين الآخرين إلى تقييد ألفاظ اللغة ويقول في السكاكيني أيضاً: إنه كان عالماً لغوياً رائعاً وكيف كان من الرعيل المجاهد في خدمة اللغة العربية، وقد شكلت آراؤه فيها حلقة مهمة في سلسلة الدراسات اللغوية العربية الحديثة ليس في وطنه وإنما في أرجاء الوطن العربي بأسره.
- وله أبحاث ودراسات وكتب لا تعد وتحصى ولمن أراد المزيد فليرجع إلى موسوعة أعلام فلسطين الجزء الخامس صفحة297 للباحث محمد عمر حمادة (دار التراث) بدمشق.

15-**نائلة هاشم صبري (1365هـ- 1944م)**

باحثة، ولدت نائلة هاشم صبري في بلدة قلقيلية عام 1944م، وكتبت المقالة والبحث والتراجم والسير، من مؤلفاتها:

- كواكب النساء (تراجم وسير)1978.
- ومضة في ظلام (مقالات ونصوص مكتبة الطالب قلقيلية 1972.
- فلسطينية سأبقى (مقالات) مطبعة دار الأيتام القدس 1979م.
- هذه أمتي (مقالات) مطبعة دار الأيتام القدس.

16- **ناهدة محمد نزال (1380هـ- 1961م)**

قاصّة، ولدت ناهدة في بلدة قلقيلية عام 1961م تكتب الرواية والقصة القصيرة ومن مؤلفاتها: هند في انتظار الحلم (رواية من السجن) القدس حاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية والقطاع.

17- **يحيى عبد الرؤوف جبر (1365هـ- 1944م)**

أديب وباحث، ولد يحيى في بلدة كفر سابا (قلقيلة) عام 1944م وحصل على الماجستير من جامعة القاهرة باللغة العربية بموضوع (اتفاق المباني وافتراق المعاني) تحقيق ودراسة عام 1975م وعلى الدكتوراة بموضوع (الألفاظ الجغرافية في التراث العربي حتى نهاية القرن الهجري الثالث) من جامعة القاهرة عامي 1977م، **من أعماله:**

- رئيساً مؤسساً لمجمع اللغة العربية الفلسطينية.

- مدرساً في المشرق العربي وليبيا لمدة 11 سنة.
- استاذاً مساعداً بجامعة بنغازي ل مدة 5 سنوات.
- محاضراً في الجامعة الأردنية لمدة فصل 1983.
- مديراً لدائرة الشؤون الأكاديمية ونائباً لمدير دائرة تطوير المواد التعليمية والإنتاج بجامعة القدس المفتوحة بعمان لمدة عام ونصف 1989-1991.
- محرراً للملحق الثقافي بصوت الشعب الأردني لمدة ستة أشهر 1985.
- أستاذاً مشاركاً واستاذاً بجامعة النجاح من عام 1986.
- خبيراً معتمداً لدى منظم التربية العربي التابع لدول مجلس التعاون الخليجي.
- مشرفاً أكاديمياً غير متفرغ بجامعة القدس المفتوحة لمدة أعوام مستمرة.

من مؤلفاته: معجم ألفاظ الجغرافية الطبيعية دار الأرقم، ودار عمار، عمان 1987.

18- **يوسف العيلة (1370هـ-1951م)**

قاص وباحث، ولد يوسف العيلة في بلدة قلقيلية عام 1951م وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارسها، وأكمل دراسته الجامعية في جامعة بير زيت العربية بين عامي 1970 1974 حيث نال درجة الليسانس في الآداب قسم اللغة الإنكليزية، ثم عمل مدرساً في مدارس الضفة الغربية، اعتقلته قوات الأمن الإسرائيلية عام 1875 بتهمة الانتماء للمنظمات الفلسطينية وحكم عليه بالسجن لمدة أربع سنوات مع الفصل من الوظيفة. عاش تحت الإقامة الجبرية ثمانية عشر سنة حتى قدوم السلطة الفلسطينية عام 1893 حيث أعادته السلطة إلى وظيفته وسمحت له "إسرائيل" بالتنقل والسفر. من مؤلفاته:

- تأملات مصطفى صبري (سيرة ذاتية).
- أدبيات أبو علي (سيرة ذاتية) 1948 .
- مواجهة (سيرة ذاتية) 1999.
- غزل الذاكرة (رواية) اتحاد الكتاب رام الله.
- أوراق لاجئ (رواية).
- كثبان الذهب الأسود (قصص قصيرة) 2003.

- زمن المرايا (رواية) 2001.
- وطن العنقاء (رواية) 2005.
- رؤى فلسطينية مع آخرين.

المؤسسات التعليمية والثقافية والخيرية والإعلامية

يوجد في مدينة قلقيلية فرع لجامعة القدس المفتوحة والتي تقدم العديد من البرامج الأكاديمية في درجة البكالوريوس، وتم افتتاحها عام 1997م، ووصل عدد طلابها 2800 طالباً وطالبة عام 2010م. كما يوجد كلية جامعية وهي كلية الدعوة وأصول الدين وتمنح شهادة البكالوريوس، بالإضافة إلى وجود العديد من المدارس الحكومية والخاصة للذكور والإناث والتي بلغ عدد مدارسها 30 مدرسة بالإضافة إلى المدارس الصناعية ومدرسة الصم والبكم، كما أسست الجمعيات الخيرية لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة. والجدير بالذكر يوجد في قلقيلية مصنع للأطراف الصناعية والذي يعتبر الوحيد من نوعه في منطقة شمال الضفة بالإضافة إلى وجود عدد من النوادي كانت الحياة الثقافية في مجملها بيئية الإطار والمحتوى كمثيلاتها في جميع الأقطار العربية والإسلامية، فيما بعد القرن الثالث عشر ميلادي، فالحدود مفتوحة للجميع وكان طلاب العلم يجوبون البلاد شرقاً وجنوباً وإن المنطقة الوسطى من فلسطين كانت منبع العلماء.

فقد ظهر المئات من العلماء في طولكرم وقضاءها وهناك أكثر من 60 عالماً اشتهروا بالإفتاء والقضاء في دمشق وحلب والقدس ومصر ثم في مكة، وإن أغلبهم قصد دمشق درس فيها وأقام، واستلموا مراكز عليا في البلاد وأغلبهم توفي في دمشق، ودفنوا في مقبرة تقع على سفح جبل قاسيون تسمى (مقبرة الصالحين) وهم علماء طولكرم، واليوم يطلق على الحي تحت سطح قاسيون اسم حي الصالحية ومنهم أربعة علماء وأعدمهم تيمورلنك عند فتحه لدمشق.

كما أنهم استلموا القضاء وفق المذهب الحنبلي وهم كثر حقاً حتى التي قرأت في كتاب ابن خلدون في كتابه (تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر) بأنه كان في دمشق عندما أقر المماليك تسليم دمشق، وكان هو الذي رفض التسليم لأنه جاء يخبرهم أن جيش مصر قادم لملاقاة تيمورلنك. لكن تيمورلنك فقد صبره إذ لم تسقط دمشق بعد حصاره لها لمدة ستة أشهر فوضع خطة بأن يقوم جنده بأسر ثمانية من المماليك على أن يذبحوا أربعة منهم ويأكلونهم بشواء على النار أمام الأربعة الأحياء، وسمح للجند أن يخلوا سبيلهم وهذا ما فعلوه، ولما وصل الناجون إلى دمشق أذاعوا الخبر بأن جيش تيمورلنك يأكل الناس، وهنا هب الذعر في المماليك وفضلوا دفع مليوني دينار لأجل فك الحصار. وقد تدخل ابن خلدون وقال لهم: لا تسلموا هذه خدعة من خداع الحروب. ولما أصروا على التسليم، أجابهم: هل معكم المال؟ أجابوه: نحن على استعداد لدفعه، ولما أحضروا المال له أجابهم: سآخذ فقط نصف مليون، واتركوا علي أن أقوم بدوري وأرسل إلى تيمورلنك

خبراً بأن قادة جيش المماليك حراس دمشق وافقوا على تسليم المدينة، فابعث لنا حرسك ليأخذنا في حضرتك، وهنا اتفق ابن خلدون أن يأخذ معه أربعة من مشايخ دمشق وقضائها وأنزلوهم بسلاسل مربوطة بحبال عن الأسوار، وهناك وجدوا جنود تيمورلنك بانتظارهم، وقد استقبلهم القائد التتري ورحب بهم وعرض عليه ابن خلدون المبلغ الذ ي حمله قائلاً:(سيدي ويا مولاي إن المواطنين لم يجمعوا محاصيلهم ولم نستطع جمع كل المبلغ، وعند رجوعك منصوراً في حملتك على مصر يكون الناس قد جمعوا لك باقي المبلغ الذي طلبته) طبعاً إن ابن خلدون يصف في كتابه خيمة القائد ويصفه وصفاً حسياً ونفسياً بأنه أعرج أزرق العينين يدعي أنه يعرف كل شيء وهو جاهل (أي عنده عقدة نقص ويريد بادعائه أن يعوض جهله) وطبعاً بعد أن رجع ابن خلدون والوفد المرافق له انسحب تيمور لنك من حول دمشق واتجه جنوباً، وهنا لم يبق سوى المؤن لتلحق بالجيش التتري فقام الدمشقيون بمهاجمة المعدات والمؤن ونهبوها. وخاف ابن خلدون من هذا التصرف وأخذ يصيح: لا تفعلوا هذا، ولم يسمع له أحد فركب حصانه وهرب إلى جبال القلمون. ووصلت أنباء الهجوم إلى تيمورلنك فأمر جنده بدخول دمشق فدخلها ولم يجد أي مقاومة إذ هرب المماليك والذكور كلهم إلى جبال القلمون. واستباح جند المغول دمشق لمدة ليست بالقصيرة وقد جمع تيمور لنك نساء دمشق وفتياتها بالجامع الأموي ومرر عليهن جنوده لأسبوع كامل.

ما جاء في كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وما جاور العرب من عجم وبربر، لابن خلدون العالم الاجتماعي والتاريخي ويظهر إبداعه وغزارة علمه في مقدمته ابن خلدون وهي متوفرة في الأسواق.

المؤسسات التعليمية

1- **جامعة القدس المفتوحة** توجد في قلقيلية فرع لجامعة القدس المفتوحة والتي تقدم العديد من البرامج الأكاديمية في درجة البكالوريوس، وتم افتتاحها عام 1997م، ووصل عدد طلابها عام 2010 إلى أكثر من 2800 طالباً وطالبة.

2- **كلية الدعوة وأصول الدين** : تمنح شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية.

3- معاهد صناعية.

4- مدرسة الصم والبكم.

المؤسسات الثقافية

أولاً: الجمعيات والروابط والنوادي في مدينة قلقيلية 1912م–1957م

جمعية الشبان المسلمين: تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين.

ثانياً: مؤسسات السلطة الفلسطينية في قلقيلية

1- الحكم المحلي (إدارة البلديات) الإحصاء– التجارة– صناعة– زراعة– بريد–العمل)

2- في 1994/11/23م تم فصل دائرة الأوقاف في قلقيلية عن طولكرم وتعيين راشد الغانم مديراً لها، وصلاح صبري نائباً له. كما عين الشيخ هاشم حسن صبري مفتياً شرعياً للواء قلقيلية في منتصف شهر كانون الأول 1994م. وأنهت السلطات الإسرائيلية خدمات رئيس بلدية المدينة عبد الرحمن محمد أبو ستيتة في 1995/3/1م أي مع تسلم السلطة لإدارة البلديات وكانت السلطة الفلسطينية قد شكلت لجنة محلية لإدارة البلدية في آب عام 1995م، تتألف من السادة (عاصم نوفل– معروف زهران– محمود صالح ذوه– مروان رفيق أبو بكر– أبو عمشة نزال– صالح موسى شلويت– عبد الهادي أبو حامد القرعان).

3- **جمعية المرابط الخيرية**: تأسست عام 1960م وأهدافها محو الأمية ومساعدة أبناء الشهداء. ومن نشاطاتها الإشراف على روضة أطفال تستوعب 150 طفلاً إلى جانب افتتاح مشغل للخياطة وحياكة الصوف بالإضافة إلى إقامة معهد للصم والبكم.

4- **جمعيات ذوي الاحتياجات الخاصة.**

5- **مدرسة صناعية وفيها مصنع للأطراف الصناعية** والذي يعتبر الوحيد من نوعه في نطاق شمال الضفة.

6- **جمعية الأمل الخيرية** تأسست عام 1990م، أقامتها جمعية الصم والبكم، ومن نشاطاتها:

- التعليم للصم والبكم.
- تعليم مبادئ الكتابة والقراءة.
- عقد دورات لتعليم اللغة بالإشارة.
- إنشاء نادي ثقافي اجتماعي ومكتبة خاصة بالصم.

7- **لجنة الزكاة والصدقات**: تأسست عام 1982، ومن نشاطاتها:

- إنشاء مركز لمستوصف صحي للمدينة وقراها، ومركز للأشعة كما يضم المركز جميع الاختصاصات ما فيها المخبرية.
- إحداث روضة نموذجية للأطفال.
- إنشاء كلية إسلامية تبيع الكتب بأسعار رمزية يقدم بعضها للمؤسسات والمدارس مجاناً، كما تقوم اللجنة بإنشاء مشفى للولادة والرعاية للحوامل.
- كما تساعد في تعليم الفقراء من الطلاب.

النوادي

يوجد في قلقيلية عدة نوادي:

- **النادي الإسلامي**: مكانه قلقيلية تأسس عام 1947م[15].
- **نادي قلقيلية**: تأسس في الخمسينات من القرن العشرين من نشاطاته: محاضرات دورية كانت تلقى في قاعته[16].
- **النادي الأهلي الرياضي**: تأسس في أوائل الخمسينات من القرن الماضي وأصبح في غضون سنوات قليلة من أشهر أندية الرياضة في الضفة الغربية.
- **ملتقى قلقيلية الثقافي**: تم تأسيسه عام 1994م وهيئته مؤلفة من ثلاثة أشخاص، هدفه نشر الثقافة وتطويرها بالإعلام والمحاضرات، وعرض المسرحيات، إلى جانب نشاطاتها الفنية ودعمها وتوظيفها في تقوية الشخصية الفلسطينية.

[15]: جريدة فلسطين 1947/12/10م.

[16]: الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 3 ص 270 محمود زايد.

الفصل الرابع

الـحياة الاقـتـصادية

الزراعة

سميت قلقيلية الأرض الخضراء لما تتمتع به أراضيها من خصوبة، ووفرة المياه الجوفية، وجودة الطقس، وقد منحها الله السهل والتل والجبل، لذلك تعاطى أهل البلدة الزراعة منذ القدم. وكان الفلاح يعيش ويقتات من أرضه وعنده الاكتفاء الذاتي من حبوب وبقول وأشجار مثمرة؛ من عنب وتين. ثم اهتم بزراعة الحمضيات والذرة البيضاء ليقايض بأثمانها اللباس والسكر والقهوة. وكانت الحياة بسيطة يكثر من الخلف لحاجته إلى أولاد ليساعدوه في الفلاحة وكلما كان يملك أحدهم أكثر كان بحاجة إلى تهيئة المحاريث، وكان المحراث بسيطاً وهو عبارة عن سكة حديد تدخل في عموديين خشبيين طوال يثبتان على صدر الدابة من بقر أو خيل وبغال أو حمير، وللسكة مقبض يحملها الحراث ويضعها في مكان الحراثة، ويسير الحيوان يجر المحراث بخط مستقيم. ومن فوائد المحراث القديم أنه لا ينزل عميقاً في التربة ولا يخلخل التوازن في التربة بل الهدف نمو المزروعات بسهولة مثل الحبوب والبقول. بينما زراعة الأشجار ليست بحاجة إلى محراث بل إلى حفر عميق 25سم مثل أشتال الحمضيات والزيتون والعنب والتين....الخ.

إن الذرة البيضاء كانت من أهم المحاصيل الزراعية في منطقة قلقيلية لأن زراعة القمح هي السائدة في كل الأراضي الفلسطينية، وقد احتلت الذرة وهي العلف الأساسي للحيوانات والدواجن، فحول الفلاح القلقيلي نشاطه لزراعة هذا المحصول والمرغوب، واستفادت البلدية، وبعد أن خسرت بلدة قلقيلية قسماً كبيراً من أراضيها بعد عام 1949م إذ سلمت معاهدة رودس هذه إسرائيل 60% من مساحة قلقيلية الزراعية الخصبة في السهل الغربي وتركت لأهلها حوالي 12000 دونماً في المناطق العالية وسفوح المرتفعات. لقد تطورت الزراعة في قلقيلية حالياً إلى استخدام العلم وتوظيفيه في خدمة الفلاح من محاريث آلية، ومخططات، وتوسيعات من مخابر وأجهزة حديثة في استغلال المياه في الري، وتطوير الإنتاج باستخدام الأسمدة والمخابر، والجمعيات التعاونية لتصريف الإنتاج، كما أقيمت مراكز التخزين والتبريد للحفاظ عليها من التلف. وأهم المنتوجات الزراعية القمح والذرة البيضاء والسمسم والكرسنة إلى جانب الزيتون والتين والكرمة. كما استغلت أشجار الخروب والبلوط. وقد زرع الفلاح القلقيلي التبغ ونجح في استغلاله ليدخل في تجارة تكسب المزارع عائد نقدي من

بيع التبغ والذرة والبقول بأنواعها. وقد اهتم الفلاحون بزراعة الحمضيات لما لها من مردود نقدي أغرى المزارعين بزيادة المساحات المزروعة حتى بات البرتقال القلقيلي من أشهرها في العالم.

إن الاكتفاء لسكان البلدة كان كافياً والمهم لدى الفلاح هو تأمين الغذاء السنوي لأسرته، فكانت البيوت تجهز بأروقة فيها خزائن مبنية في أمام الجدران مفتوحة السقف مغلقة الجوانب لها فتحة أسفلها تغلق بسدادة ثم تخزن فيها الحبوب وعند الحاجة تزاح السدادة ويؤخذ الحب منها لاستخدامه. كانت النساء في القرية تعملن جاهدات لتأمين مؤونة البيت من فريكة وبرغل ورب البندورة ورب الخروب والألبان بأنواعها حتى السمن الحيواني والبقول بأنواعها.

المحراث الخشبي

أما انتاج رب البندورة: تجري العملية بأن تجمع حبات البندورة وتنظف بالماء وتترك حتى تجف، ثم توضع في إناء كبير يتسع 500 لتر وتهرس ويشعل تحتها إما بحطب أو غاز، ثم تبقى تغلي حتى يصير السائل لزجاً ويدعى (رُب البندورة) وينقل بعدها إلى أوعية زجاجية وتغلق بإحكام.

أما رب الخروب: تجمع قرون الخروب الناضجة (السوداء)ثم تغسل وتنظف حتى تجف وتدق حتى تتكسر، وتوضع في الوعاء الكبير كما أسلفنا واسمه (الدست) ويضاف فيه الماء ويترك لمدة أربع وعشرون ساعة عندها يتحلل السكر في الخروب ويصبح السائل حلواً كالعسل ويعصر مزيج الخروب ويطرح خارجاً، يستفاد منه كعلف للدواب ووقود للطوابين، ويغلى السائل حتى يصبح لزجاً مائل إلى السواد ويدعى (الرب) يعبأ الدبس هذا في أواني فخارية أو زجاجية، ويقدم في الموائد وفي كثير من الأحيان يؤخذ سائل الخروب قبل الغلي لبيعه في الأسواق كشراب منعش على نمط بيع شراب السوس خاصة إذا مزج مع الثلج. إن شراب الخروب سلعة رائجة في كل المدن الفلسطينية، وإن شجرة واحدة من الخروب تعطي ثماراً من قرون الخروب تكفي لعصر 500 لتر ماء لتعطي 250 لتر من الرب.

وتقوم المرأة في ريف قلقيلية بإعداد الخبز، وتقوم بإعداد العجين وبعد أن يتخمر تأخذ المرأة العجين للطابون فتخبز العجينة، ويتم أيضاً خبز صواني اللحوم ضأن كانت أم طيور فالطابون عندهم بمثابة أجهزة الغاز في المدن هذه الأيام.

إن الاكتفاء الذاتي لعائلة الفلاح في بيته التي يحيى بها توحي بأنه ليس بحاجة إلى الأسواق لتلبية طعامه وشرابه؛ إذ أنه يربي الطيور من دجاج وحمام إلى جانب ما عنده من مواشي، فيأخذ حليبها فيصنع الألبان بجميع أنواعها، ومن الدجاج لحومها وبيضها ومن الحمام لحومها، إذ نجد الحمام في كل بيوت القرية وتستخدم الزغاليل في أكثر وجبات طعامه.

وكانت الكرمة تباع طازجة وبعد تجفيفها تباع زبيب ومجففة من العنب والخل والتين. وتستخدم المرأة في القرية الطاحون لطحن البرغل والعدس والفريكة وغيرها. وبعض النساء يصنعن الصابون بأحسن أنواعه بوجود (الغلي أو الشنان) وهو نبات يباع في الأسواق يمزج مع الزيت العكر ثم يغلى المزيج في أوعية خاصة كبيرة وعندما يصبح الخليط لزجاً يسكب على أرض مستوية بسماكة مكعبة، ويقطع وهو لزج، وبعد أن يبرد تعبأ قطع الصابون فوق بعضها حتى تجف، ثم توضع في صناديق وعلب خاصة خشبية كانت أم بلاستيكية ويطرح بالأسواق.

يتمتع الفلاح بالاكتفاء الذاتي ولا يحوجه سوى مادتي السكر والشاي والألبسة من قماش وأحذية ثم البن(القهوة)، حتى التدخين فهو يستغل ما يزرعه من التبغ في قريته يجففه ثم يفرمه بيديه وهناك ورق السجائر يباع في الأسواق يمكنه لف السيجارة وبعضهم كان يستخدم حجر الصوان مع قطعة من معدن الفولاذ يضرب حجر الصوان بقطعة فلاذ فتصدر شرارة وعلى قطعة الفولاذ (الزناد) يضع لحاء نبات مثل القطن سريع الاشتعال وعندما تصدر الشرارة تحترق (الصوفان) فيشعل الرجل السيجارة وهذا مثلاً يدلنا على عبقرية القروي البسيط للتأقلم مع بيئته وقد استبدل (الزناد والصوفان) بالكبريت هذه الأيام.

كانت الحياة بسيطة والتسلية تتم عند الرجال بالديوان حيث يتناولون أطراف الحديث عن أحوال القرية والأحداث التي تمر بها، وفي بعض الأحيان يلجؤون إلى لعب الطاولة أو لعب المناقل أو الضامة والورق. بينما يسهر الأهالي في البيوت حتى التاسعة (بعد صلاة العشاء) على ضوء الفوانيس التي تضاء بزيت الزيتون أو بالغاز ومنها(الكاز) أو يستخدم اللوكس الذي هو أقوى إضاءة من الفوانيس ويعمل (بالسبيرتو) وكثيراً ما كان اللوكس يستخدم في الساحات العامة والأعراس والاحتفالات وما أكثرها.

لقد دخلت الكهرباء إلى بلدة قلقيلية في أواخر الخمسينات من القرن العشرين، ولم تدخل الكهرباء مدن فلسطين إلا في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي، وقد عشت هذه الفترة وكنت في قريتي إجزم ألبي حاجة أسرتي بأن أقرأ عليهم وأنا في الصف الرابع ابتدائي قصة الزير سالم وأبو زيد الهلالي ثم تألقت في قراءة ألف ليلة وليلة وذلك على ضوء الفانوس ووالدتي وإخوتي حولي مذهولات يتابعن القصة مثلما يتابعن الآن المسلسلات. وكم تأثرت بقراءة هذه الكتب إذ تحسنت قراءتي وصرت بعدها أعشق القراءة، ومن هنا جاء ولعي بقراءة ما يقع بين يدي واشتركت في الصف السادس بسلسلة كتابي للكاتب حلمي مراد حتى أنني تبرعت بها كلها مع مجلة الجغرافية الوطنية الأمريكية National Geography للجمعية الجغرافية الفلسطينية ويزيد عدد المجموعتين (380 نسخة) حتى باتت القراءة عندي ملكة. واعتقد أن أمثالي من أبناء قلقيلية ربما يقرأون ما أكتب في هذه الصفحات ويستمتعون بها ويتذكرون ما كان أهلنا يعملون في تلك الأوقات من بيع المحصول بأسعار مناسبة وهذا يدل على نهاية استغلال الأرض حسب العرض والطلب. بقي الفلاح القلقيلي يعيش في

بحوحة طوال الانتداب فأراضي قلقيلية في أواخر الحكم البريطاني 27.935 دونماً منها 979 للطرق والأدوية والسكك الحديدية و787 دونماً تسربت للصهاينة وقد شغلت الحمضيات نحو 3.638 دونماً من هذه المساحة وشكلت الحبوب والخضار والأشجار المثمرة مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية. وتتميز أراضي قلقيلية بارتفاع مردودها الإنتاجي لخصب تربتها وتوافر آبار الماء ونشاط المزارع، والشيء المؤلم أن معظم المزارعين فقدوا أراضيهم الزراعية نتيجة معاهدة رودوس الغير مبررة، وبعيداً عن علم سكانها عام1949 إذ يمر خط الهدنة غربي قلقيلية مباشرة ولم يبق بحوزة سكانها التي غدت تمثل أقصى امتداد عمراني للأرض العربية غير المحتلة نحو الغرب سوى سبعة دونمات من أراضي السهل الساحلي، وقد زرعت برتقالاً وليموناً في 2000 دونماً من الأراضي المتموجة فوق أقدام المرتفعات و3000 دونماً من الأراضي الجبلية الجرداء.

وقد أقامت إسرائيل على أراضي مدينة قلقيلية مستعمرات (تيراليا‌ها وإيال وتيفي يمين) [17].

السكان

كان على أهل البلد مواجهة الوضع المؤلم الجديد بانكماش أراضيهم وزيادة عدد السكان منذ أوائل الخمسينات إذ بلغ عددهم حسب تعداد عام 1961 نحو 9000 نسمة، والسكان اللاجئون إليها نحو3000 نسمة مما اضطر سكانها إلى التشمير عن سواعدهم فحفروا الآبار الكثيرة وبنوا المساطب في سفوح الجبال فزرعوها ووظفوا بعضها في تربية الدواجن والمناحل، وأخذ أهلها يخططون لاستقبال الأفواج البشرية القادمة من قراها والمهاجرين إليها بعد أن أصبحت محافظة تابعة للسلطة في الضفة الغربية.

لقد اتسعت مساحة العمران في كل جوانبها وبشكل خاص من الشمال والجنوب، وتحسن نوع البناء وأصبحت بيوتها عصرية من الحجر الأبيض والإسمنت المسلح وبلغ مجموع الأبنية فيها عام 1960م نحو 2،121 بيتاً، وفي عام 1997م ضمت قلقيلية 8 مدارس ومعهداً شرعياً ومسجدين ومركزاً طبياً عدا المحلات التجارية الحديثة والمقاهي والأفراح.

تتواجد الآن في المدينة المرافق العامة الأخرى كشبكة الماء التي تصل إلى معظم بيوتها وشبكة الكهرباء والمسلخ الحديث، وتشرف البلدية على إدارة شؤون البلدية التي أصبحت منذ عام 1960م مركزاً لقضاء يحمل اسمها. الوظيفة الأساسية للمدينة هي الزراعة.

وتتركز زراعة الحبوب البقولية واللوزيات والخضر في المنطقة الشرقية في حين تتركز زراعة الحمضيات والخضر المروية في المناطق الشمالية الغربية والجنوبية الغربية.

---

[17]: الموسوعة الفلسطينية مجلد ص 590.

وأخذ السكان بتربية الثروة الحيوانية التي تقوم عليها صناعة الألبان ومن أهم المنتجات الصناعية في قلقيلية صناعة المواد الغذائية مثل الحلاوة والطحينية وزيت الزيتون وتجفيف التين ورُب الخروب والمخللات وصناعة الصابون والزجاج وبعض المنسوجات لقد تطور عدد السكان فيها بشكل كبير.

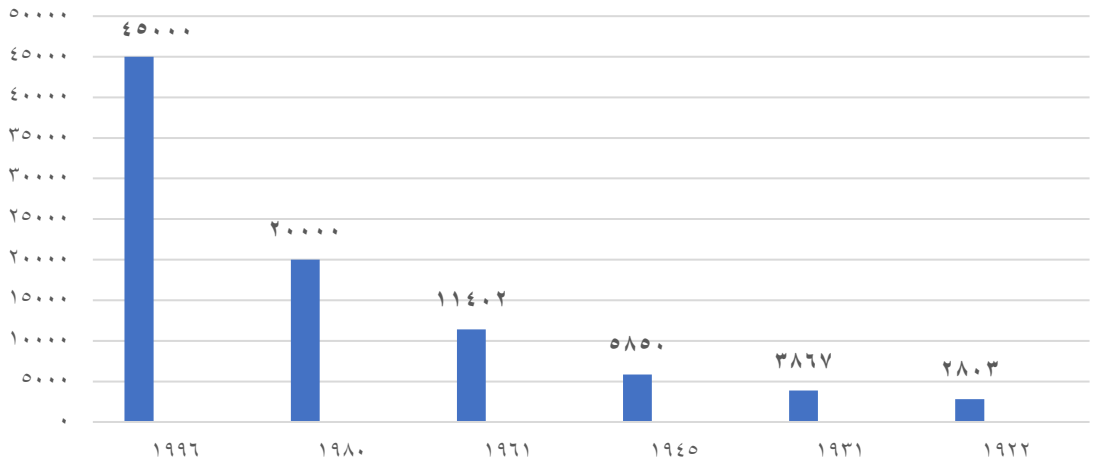

التعداد السكاني لمدينة قلقيلية حتى سنة 1996

عدد القرى(34 قرية) نسبة أراضي المحافظة لأراضي الضفة 20.8% [18]

قرى محافظة قلقيلية

[18]: mailto:http://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Qalqiliya_1475/ar/Picture_19186.html

وبعض الموؤرخين ينسبون اسمها إلى قيلة وهي الموضع الذي يلجأ إليه المسافر للراحة عند الظهيرة طلباً للراحة، والأرجح أن الصدفة هي التي جمعت بين اسم قلقيلية وموقعها الغني بالماء والشجر والذي جعل منها موضع قيلولة.

الصناعة

منذ أن ضمت الأردن الضفة الغربية عام 1948 كان هم الحكومة آنذاك تنشيط الحرف في أراضيها، ومرت الأعوام التسعة عشر حتى عام 1967 وكل المصانع والحرف قد باتت في الضفة الشرقية في عمان والمدن الأردنية الأخرى، وبقي أهل الضفة يعتمدون على الزراعة والحرف الخفيفة بدون تحول وتطوير سوى في تطوير زراعة الخضار المبكرة والحمضيات والصناعات القائمة عليها. وبعد معاهدة رودوس التي حرمت قلقيلية من أراضيها الساحلية الخصبة بالإضافة إلى الاحتلال الإسرائيلي الذي ضاعف الاختناق على السكان ومما زاد الطينة بلة هو بناء الجدار العازل الذي وضع المنطقة في سجن محاصر من كل جوانبه. كما أخذ الجدار القسم الأكبر من أراضي البلدة وهناك مشروع صهيوني قادم لشبكة الكهرباء والغاز المكتشف في البحر الأبيض المتوسط ولما كانت مدينة قلقيلية جاذبة للسكان والأشغال محدودة فقد بلغت نسبة العطالة 60% من الأيدي العاملة ولم يعد للعمال سوى الصبر والتحدي.

من دائرة السجن الكبير الذي يرزحون تحته ليعملوا في البناء والخدمات الأخرى في شق الطرق وتعبيد الشوارع. وبعد أن استلمت السلطة الفلسطينية فرض الأمن يحاول المسؤولون تخفيف الضيق عن السكان وقضاءها عن طريق فتح مشاريع في تطوير الخدمات من كهرباء وشبكة المياه وشق بعض الطرق وتحويل قسم من العمالة للعمل في مدينة رام الله والبيرة. إن بناء هذا الجدار العنصري سبب فصل القرية الواحدة. فتعطلت المواصلات بسبب الحواجز وبات القريب بعيد وتضاعفت المعاناة وأصبح الوضع مراً مزمناً فالطلاب يعانون الذهاب إلى مدارسهم والمواطنون يتكبدون الصعاب في الحركة وتمر الساعات للوصول إلى مسافة كانت تتحقق في دقائق معدودة وقد استطاعت السلطة في إقامة مؤسساتها ومقراتها وما يرافقها من خدمات تشغيل قسم كبير من العمالة من مهنيين يعملون في أراضيهم خدمة لشعبهم بدلاً من العمل في بناء المستعمرات. وفي هذا السياق لا ننسى ما يقوم به أهل قلقيلية من إنتاج مواد صناعية تقليدية منها والمتطورة مثل:

- جرار وزلع الزيت التي لها سدادة من المطاط أو الفلين تغلق وتفتح عند الحاجة وفي كثير من الأحيان تغطى الزلعة بالبورسلان (صيني)، أما اليوم فقد حلت المعاصر الآلية وبعد عصر الزيت يوضع في براميل، ويعبأ في زجاجات محكمة مختلفة الأنواع والأحجام وتصدر للأسواق الداخلية والخارجية

- والجوافة هي من أهم الفاكهة التي تنتجها قلقيلية وقد ذاع صيتها على الناس جميعاً.
- وفي مسكة المجاورة لقلقيلية فإنها مشهورة بزراعة المشمش والتفاح المسكاوي لحلاوة مذاقه وجودة طعمه.
- **الحمضيات:** وتأتي الحمضيات في الدرجة الثانية أهمية للإنتاج وتبلغ الأراضي المزروعة حمضيات أكثر من 2951 دونماً، وهو من النوع الجيد يقطفون الغلة ويصدر ما يزيد عن الحاجة إلى يافا حيث يحفظ في صناديق ملائمة ويصدر إلى الخارج، وإن وجود البرادات يساعد على بقاء هذه المادة صالحة لأطول مدة.
- **الكروم:** تستهلك المادة من الأهالي والقرى المجاورة ويستغل الباقي في صنع المربيات والخل والخمور.
- **التبن:** ويزرع بكثرة وأنواعه متعددة يؤكل طازجاً في الأسواق والباقي يحول بعد تجفيفه إلى تين مجفف يقال له (قطين).
- **البندورة:** وهو نبات يدخل في جميع أنواع الطعام وأصبح من النتاج الدائم تقريباً بعد أن انتشرت زراعته في البيوت البلاستيكية والإنتاج دائم وغزير. كان في الماضي يؤخذ الإنتاج ويوضع حلة نحاسية ضخمة ويوضع سائل البندورة في الحلة وتوضع الحلة فوق موقد يوضع فيه الخشب ويحرق ويبقى(الدست) الحلة يغلي فيها سائل البندورة حتى يصبح السائل لزجاً ويصبح العصير(رُب) ويدعى رُب البندورة. بينما وجدت الآن مصانع بسيطة آلية تعصر ثمار البندورة ثم يؤخذ السائل عبر أنابيب إلى صهريج تحته نار ويغلى السائل حتى يصبح لزجاً ثم يبرد ويوضع في أواني بلاستيكية محكمة الغطاء وتباع في الأسواق أو تصدر للخارج.
- **خضراوات متنوعة:** مثل البازيلاء- الفول- الحمص- الملوخية- البامية. كل هذه المنتجات تعبأ هذه الأيام بأكياس بلاستيكية أو معدنية وتوضع في البرادات وتنقل للأسواق الداخلية أو الخارج. إن إنتاج هذه المواد الغذائية بحاجة لعمال بحيث تشغل اليد العاملة وبشكل خاص الإناث من العاملات.
- **الملوكية** ومصدر زراعتها في قلقيلية وكانت محصور أكلها في قصور المماليك وتصدر إلى مصر، وبعد ذلك شاع استعمالها وسموها المصريون أخيراً بالملوخية حيث شاع أكلها في بلاد الشام ثم نقلها المغتربون إلى العالم أجمع.

أما الصناعات الحرفية الأخرى فإن مدينة قلقيلية نجد فيها من المهن التالي:

- صناعة الصابون والتي تعتمد على المخلفات الزيتية.
- صناعة الحلاوة والطحينية من السمسم.
- الألمنيوم والحديد للأبواب والنوافذ.
- الأخشاب النجارون ومعامل التجارة للبناء والموبيليا.
- الجلود وما يترتب عنها من أحذية وألبسة..... إلخ.

- صناعة الطوب (خلط الرمل مع الإسمنت) ثم أنابيب الصرف.
- الخراطة وما يتبعها من شكل القوالب وأدوات السيارات، لف الوشائع الكهربائية المختلفة.
- صناعة الفخار وتحضير القوالب لصب المعادن.
- ورشات لإعادة صنع البرادات والغسالات وغيرها من أدوات البيوت.
- ورشات للخياطة (أنواع الألبسة لجميع أنواع الأقمشة).
- معمل وحيد في المنطقة لصنع الأطراف البشرية ويلعب دوراً بارزاً في أهميته.
- تقطيع الحجارة وصقلها وإعدادها للبناء وهي حرفة عمل بها الكثير من عمال البلد وبعد توسع العمران أنشئت عدة معامل لصنع الطوب، وتسوية الصخور، وقطع الرخام، ومعامل لصنع الرمال بواسطة طحن الصخور، وإعداد الملاط للأبنية إذ توسعت المدينة خمسة أضعاف ما كانت عليه بعد النكبة.
- ورشات للعمل في مادة الجبس في ديكور البيوت والمحلات التجارية وصناعة القوالب.
- تجميع لقطع الكومبيوتر وإعدادها للعمل وورش للتصليح أرضاً.
- ورش صغيرة لإنتاج الإكسسوار في المحلات التجارية.
- ورشات لإنتاج الصاج والخلايا الشمسية للتدفئة وغيرها. كل هذه الصناعات لابد لها من أيدي عاملة تخفف معاناة البطالة في مدينة قلقيلية وضواحيها.
- إنتاج الألبان جميعها (لبن- جبنة- حليب مبستر) تغليفه وتصديره.
- الدواجن والمناحل وهذا الإنتاج يدر أموالاً ويشغل المئات من العمال.

المنتوجات التقليدية:

من الصناعات التي قام بها الإنسان القلقيلي تعتمد على المواد الأولية في بيته:

1. **الفخار**: مارس بعض الحرفيين هذه المهنة التاريخية والتي مارسها الإنسان الفلسطيني منذ آلاف السنين، فالتربة الطيبة متوفرة وهي مهنة سهلة وشائعة وقد تفنن في تطويرها سكان فلسطين في إنتاج أنواع كثيرة، منها الكبير والصغير وتنوع في صنع الأشكال، وقد اجتذبت إلى صناعتها الزخرفة والألوان كما أن بعضها طلي بالبورسلان.

2. **النحاس**: وهي أولى من عمل بها الإنسان العربي الفلسطيني في أريحا وغزة، ثم انتشرت رقائق النحاس ليعمل بها آلاف العمال لصنع الطناجر والأواني من جرار وأباريق وأدوات الطعام. اهتمت بهذه الحرفة بعض المدن مثل الخليل وعكا وبعض المناطق الأخرى. وهناك أسواق في أكثر المدن الفلسطينية تدعى سوق النحاسيين.
3. **مهنة الحدادة**: وكان الحرفيون ينتجون المحاريث (سكة المحاريث) والسيوف والخناجر والسكاكين.
4. **النجارون**: ويكملون إنتاج الحراث من الخشب ثم صناعة الموبيليا وصناعة الأبواب والنوافذ.... الخ.
5. **التقشيش**: وهي حرف تقوم بها نساء البلدة إذ تقوم على حصد القمح والشعير وتقطع السنابل عن السيقان، وتجمع السيقان وتنظف من الشوائب، وتجمع في حزمة وتنشر حتى تجف، وبعدها تأخذ المرأة أو الفتاة هذه السيقان ويصنع منها عدة أدوات استخدمت في حياة الأسرة أهمها:

- **الطبق**: وهو دائرة من القش مستدير أنواعه مختلفة منها الطبق الكبير يبلغ قطره متراً، والمتوسط يبلغ قطره نصف متر. وتتفنن النسوة في صنعه ويدخلون عليه الألوان فيزيد روعة وجمالاً لذلك كن يتباهين بصناعته وزخرفته ويعلقونه على الجدار كأنه لوحة فنية نموذجية.
- **المشكول**: وهو وعاء من القش يستخدم في حفظ الأشياء وله يد يحمل بها وكأنه حقيبة للمرأة يوضع فيه بعض الطعام، ويعلق عالياً حتى يحافظ عليه من التلف.
- **الترويجة**: وهي وعاء من القش يتسع لحفظ خميرة العجينة القادمة تتسع ل كيلو غرام فقط.
- **القبعة**: وهي إناء من القش وإنتاج شكلها شكل الطنجرة وكل هذه الأدوات يمكن صباغة القش بألوان وإنتاج نماذج متنوعة جميلة يمكن إعداد معرض كامل.
- **صناعة المربيات**: من الكرمة يمكن إنتاج **الزبيب** ثم عصر العنب وغليه للحصول على **مربى العنب**، ومنه يصنع الخل والخمر، ومن **التين** يحول إلى (قطين) تين مجفف، **رب البندورة**: بعد عصر البندورة وغليها تحول إلى رب البندورة. وكذلك رب الخروب كما ذكرنا، إلى جانب ذلك **الفواكه المجففة والمربيات** الأخرى من: سفرجل وإجاص ومشمش وتفاح وخوخ.

ومن الخضراوات انتشرت الكونسروة الصناعية في حفظ عصير المشمش والبقوليات بأنواعها، خاصة بعد انتشار أجهزة التبريد إذ تحفظ هذه المواد بأكياس بلاستك لمدة طويلة.

مؤسسات تابعة للسلطة ساعدت على إيجاد الرزق لآلاف العمال في قلقيلية نذكر منها:

- عمال وموظفي الأحراش في التشجير وحماية الأحراش والبيئة كما يوجد عمال إنتاج الفحم بقطع الأشجار وحرقها في حفر خاصة بنار يتحكمون بها.
- عمال النظافة وهم كثيرون يشرفون على نظافة الشوارع والأرصفة وجميع فضلات البيوت ونقلها لمكبات معروفة لديهم.
- عمال الصحة التابعين إلى الصحية في المدينة في نظافتها ونظافة البيئة كلها وفي المستشفيات والمصحات العامة والخاصة.
- المدارس ونظافتها من عمال في الإشراف على مرافقها ونظافتها وساحاتها والعناية بجنائنها إن وجدت.
- خدمات أخرى لمديريات ومؤسسات حكومية من دار المحافظة والبلدية ودوائر السلطات المحلية والقروية.
- دائرة المواصلات وما يرافقها من مساحات للسيارات ومواقف مفتوحة ومغلقة إلى جانب ورش تصليح سيارات الدولة.
- مؤسسات الكهرباء والماء والمجاري الصحية وما فيها من عمال وموظفين.
- مؤسسات حفظ الأغذية وما يلزمها من خدمات أيضاً تأخذ مئات العمال.
- مؤسسات العمران وما يتبعها من حفظ مواد البناء وتوزيعها حسب الطلب. وهناك الآلاف من العمال يحتلون هذا النشاط من حجارة وبلاط وحديد وإسمنت وملاط مختلف الأنواع.

إن كل هذه النشاطات بحاجة إلى آلاف العمال والموظفين مما يخفض نسبة البطالة بشكل كبير، كما أن تقدم التكنولوجيا ووصول الإنترنت إلى بيوت وانتشار الحاسوب جعل البعيد قريب وقرب المسافات وما من حادث يقع في شمال الكرة الأرضية، شرقها أو غربها إلا وينتشر خبره على الكرة الأرضية بعد لحظات، ولا تزال الطفرة العلمية تتقدم بسرعة مدهشة والبحث والمعلومات متاحة لجميع البشر حتى باتت الحوادث والمعلومات تحفظ في أسطوانات خفيفة الحمل ورخيصة الثمن ولم يعد هناك احتكار للمعرفة فالمحترف الناشط يحصل على ما يريد من معلومات.

وكم من محترف في الحاسب (الكومبيوتر) ترك وظيفته واعتمد على الحاسوب في بيته ليؤدي ما كان ينفقه من نشاط في الوظيفة، وكم هم الذين استطاعوا أن يبهروا الدنيا بمعارفهم ونشاطاتهم التي أصبحوا أثرياء عن طريقها. لقد بات العصر الذي نحن فيه عصر الإلكترونيات حتى أن هذه الظاهرة استغلت في الحروب وتوظيف الفضاء في تشغيل لاقطات الصوت والصورة (الساتلايت) وفي التجسس وإعطاء المعلومات للأساطيل والطائرات بالجو، واستطاعت الدول المتقدمة في السباق لبناء محطات فضائية وأقمار صناعية حتى توظفها لأساطيلها وحاملات طائراتها، إذ أصبحت هذه المعدات التي كلفت دولها تريليونات الدولارات تحت رحمة الأقمار الصناعية، واعتقد أن هذا سيكون

وبالاً إذا قامت دولة ودمرت هذه الأقمار عندها ستفقد الأساطيل وحاملات الطائرات قدرتها على الحركة وتصبح فريسة لعدوها يفعل بها ما يريد.

التجارة

إن موقع قلقيلة جعل فيها عقدة مواصلات برية تربطها مع نابلس مروراً بطولكرم ثم إلى القدس، وكانت فيها محطة سكة حديد الواصلة بين حيفا واللد وتتفرع إلى يافا وغزة ثم إلى مصر وفرع آخر يذهب للقدس.

وبعد معاهدة رودس ضمت المحطة لأراضي إسرائيل وحرمت قلقيلية من هذا الخط العظيم.

إن المواصلات لازالت نشطة بينها وبين قراها وأغلبها شوارع معبدة وقد عرقل بناء الجدار حركة الناس وزاد الطين بلة حواجز الجيش التي جعلت القريب بعيداً، إذ كانت الإجراءات ضربة قاصمة لحياة الناس فالقروي الذي يتجه إلى مدينته قلقيلية ليبيع ما عنده من خضار في سوق المدينة يرى بضاعته أتلفت بالانتظار وكذلك حال الألبان والفواكه.

كما أن الجدار يفصل بين التجمعات السكانية عن بعضها، وفي بعض الحالات يسعى طلاب المدارس للذهاب إلى مدارسهم في الشطر الثاني ويحول الجدار بين هؤلاء والوصول إلى مدارسهم إلا بعد إجراءات انتقامية من الأمن الإسرائيلي، فالبضائع والحركة التجارية تقاس بسرعة المواصلات من حيث تأمين المواد من قرية إلى أخرى أو من مدينة إلى قراها، وهكذا نرى الاحتلال همه القضاء على شعب فلسطين ويتخذ الإجراءات كلها لتحطيم شخصية هذا الشعب والعالم الحر المنافق يقف دون حراك وأحياناً يستنكر خجلاً ولا يعمل أي شيء يرد الظالم، وإذا أراد المظلوم أن يرفع رأسه أو يرد على العدوان يصبح لدى الغرب إرهابياً. أي منطق وأي خيانة للأخلاق والإنسانية مواقفهم؟

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية في مدينة قلقيلية

لقد مر على سكان قلقيلية حيناً من الدهر سيطرت عليهم عادات وتقاليد خاصة الكبار والمخضرمين منهم عاشوا حياة بسيطة مؤن البيوت فيها وافرة من حبوب وبقول وزيوت ودواجن (أغنام- أبقار- وخيول وجمال) إلى جانب المناحل وتوفر العسل الصافي للألبان متوفرة بجميع أنواعها والسمن والزيوت وفيرة، ومع أن الكهرباء لم تكن موجودة حتى مطلع الستينات من القرن العشرين فإن البيوت كانت تضاء بالفوانيس التي تعمل بزيت الزيتون أو بالكاز (غازولين) وفي السهرات العامة كانوا يستخدمون (اللوكس) الذي يعمل بالسبيرتو. وعند الانتداب البريطاني لفلسطين لم يهتم البريطانيون في إدخال الكهرباء إلى القرى إذ أهمل الريف كلياً من هذه الخدمات إلى جانب خدمات شبكات المياه وكانت الإناث يجلبن الماء من الينابيع القريبة من القرية عن طريق الأواني الفخارية (الجرة) يحملنها على الرأس تحتها إكليل من قماش يحمي الرأس، وإما عن طريق تحميل الحيوان تنكات من صفيح تتسع لعشرين لتر ماء وتنقل للبيوت. وكان الذكور يتولون هذه المهمة غالباً. وقد حاولت بعض القرى جمع المال لإحداث شبكة خطوط للمياه تصل إلى البيوت وهذا ما حصل في قرى عديدة مثل قريتي إجزم قضاء حيفا ولكن مثل هذه المشاريع كانت كلفتها فوق قدرة المواطنين وإمكانياتهم في المساهمة لإقامة مثل هذه النشاطات الحيوية. أما السهرات في الليل تبدأ بعد صلاة المغرب إذ يلتف أفراد الأسرة حول الموقد من النار في فصل الشتاء يستمعون إلى الحكايات والقصص والأساطير المسلية مثل قيس وليلى وألف ليلة وليلة والسندباد والزير سالم وأبو زيد الهلالي. واذكر انني كنت أقرأ لأسرتي مثل هذه الكتب وأنا في الصف الرابع ابتدائي فأصبحت مرغوباً عندهم وهم في شغف لقدوم المساء حتى أكمل قصة من حكايات ألف ليلة وليلة بينما كان والدي في الديوان مع الزوار.

لم تكن السهرات تطول ليلاً كما هي السهرات الطويلة هذه الأيام. وفي النهار ينهض الناس مبكرين فالفلاح يذهب لتفقد أرضه من حراث وبذار أو حصاد وجمع المحصول إلى البيدر حيث يجمع في الخلاء بشكل قبب يسمى البيدر حيث تتم دراسته وفصل الحبوب عن السنابل والسيقان(القش) ثم تذرى لفصل الحب من القش والناعم من القش يقال له (تبن) يستخدم كعلف للحيوانات أما القش الخشن يستعمل كوقود في خلطات البناء وفي وقود الطوابين مخلوطاً بالجفت.

الزواج

1- الخطبة: إن الحياة البسيطة في الريف الفلسطيني تسودها المحبة والتعاون ففي الأفراح والأتراح يجتمع أهل البلدة في بيت العريس أو في مكان محدد لهذه المناسبة وتأتي الوفود من القرى المجاورة للمشاركة في الاحتفالات وقد أحضرت معها أكياس من السكر والقهوة والبعض يجلب معه الغنم لتذبح للإطعام الوافدين، ويقوم أصحاب الفرح بإعداد الولائم للوفود وترى الجميع يتعاونون في إعداد الطعام بمرح وسرور وأغاني وزغاريد. إن عادة الزواج في قلقيلية لا تختلف عن باقي القرى الفلسطينية إذ تبدأ القصة بخطبة العريس للفتاة وتقوم أم العريس وأخواته بالتفتيش عن الفتاة المطلوبة وعند عثورهم على الفتاة يتحدثن مع أم العروس إن كان هناك مجالاً دون أن يعرف العريس فتاته وهي لم تره ولم تعرف عنه شيئاً سوى ما أطنب أهل العريس في إظهار محاسنه شفوياً. وإذا تمت الموافقة تعين الجاهة وهو دور الرجال الذين يذهبون جماعة وربما يصل العدد إلى 30-50 رجلاً ليطلبوا يد الفتاة من أبيها وبعد أن يهدأ الجميع تصب القهوة وتقدم إلى الرجل الخاطب فيضع الفنجان على جنب ولا يشربه حتى يتم القبول ويبدأ حديثه بالتسمية ويقول وهو يقرأ آية من القرآن من سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ثم يبدأ بذكر مناقب العريس وعائلته، وفي بعض الأحيان تطول الخطبة كثيراً لتصبح مملة ويرد نائب العروس بخطبة مثلها. وعندما يتم القبول تقرأ سورة الفاتحة على نية القبول، وهنا يتناول الرجل وكيل العريس فنجان القهوة تعبيراً أن حصل على الموافقة وتدار القهوة على الحاضرين، وتقوم النسوة بالأغاني والزغاريد ويقدم أهل العروس الحلوى والشراب على الحاضرين، ويقوم العريس بتقبيل يد والده أو نائبه مع الضم والقبلات لعمه والد العروس والسلام على الحضور فرداً فرداً، وبذلك تتم خطوة الجاهة (الخطبة) وعلى سبيل هذه الخطبة فقد قرأت عن (أبو طالب)عم الرسول عليه السلام في طلب خديجة بنت خويلد بقوله (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمد من لا يوزن به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً وصدقاً وأمانةً ونبلاً وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي). وقد اعتاد العرب منذ القديم هذه المراسم وبقيت، أما أن تطول الخطبة على نحو ما نراه فإني أراها غير مرغوب بها وبذا الرجوع إلى الأصل. وفي كثير من الحالات تتم الخطبة بذهاب والد العريس يرافقه بعض الرجال من أقاربه وأصحابه إلى بيت العروس بعد العصر غالباً، وبعد جلوس الحضور تصب القهوة لشخص الطالب (المتكلم) يضع هذا الشخص فنجان القهوة ويبادر كلامه في خطبة الفتاة للخاطب بقوله (يا أبا فلان إحنا والوفد معنا جابيين نطلب ابنتكم الكريمة لابننا فلان وكلنا أمل في القبول) ويرد وكيل الفتاة لقد شرفتمونا ويحصل الشرف والبنت بنتكم والولد يعتبر ابننا. بعدها تقرأ الفاتحة تعزيزاً للقبول وتنطلق الزغاريد بقولهن:

آي ما خطبت لك يا شاطر　　آي لاصـفـرا ولا مـنـحولـة

آي إلا قـمح مـغـربـل　　آي من إديك لحلق الطاحونة

2- التحضير للعرس: خلال عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن اختلفت مراسم الأعراس في قلقيلية بشكل ملموس إذ كانت الأعراس في الماضي تقوم ولا تزال في ريف المدينة في ساحات مفتوحة إما في بيادر البلدة أو ساحة واسعة، بينما أصبحت في المدينة تقام في الصالات المؤجرة أو الفندقية والمدعوون للصالة تحددها المعارف والنفقات، بينما تكون الدعوة في القرية عامة يشترك فيها أبناء القرية والقرى المجاورة. تحدد الأسرتان موعد العرس وتتراوح الفترة بين الشهرين والسنة وكانت في الماضي تطول ريثما يبلغ الخطيبان سن الرشد فيما يفضل أكثر الفلاحين الزواج في موسم بعد القطاف والحصاد في تشرين أكتوبر أو نوفمبر لا سيما المسيحيين يوم الأحد الذي يلي عيد الفصح وبعد صيام أربعين يوماً كان يحرم الزواج أثناءها، وكذلك يزوج الفلاحون أبناءهم بعد صيام رمضان في عيد الفطر ويستحسن الزواج عند الفلاحين في فصل الشتاء وفي هذا يقال:

عرس المجانين في كوانين، والذي يتزوج في نيسان بيوكل لحم وبيض وحليب وخضرة، وبساط الضيف واسع.

3- مراسم العرس: تبدأ أيام العرس وتختلف عدتها تبعاً لقدرة العريس ومكانته، وقد تستغرق أسبوعاً كاملاً وتسمى أيام التعليلة. وقبيل النكبة كان الوجهاء والموسرون يدعون إلى الأعراس بالبطاقات ولكن دعوة الوجهاء ظلت سائدة ولا سيما دعوة الأقارب وكثيراً ما يدعى سكان القرى المجاورة، ويتم التواصل مع الشعراء الشعبيون، ويفضل المسلمون يوم الجمعة للزفاف بينما تبدأ التعليلة يوم السبت أو الاثنين في غالب الأحيان وتأخذ الوفود الوصول على بيت العريس أو منزل العروس لأن السهرات ليست مختلطة وقد يسهر الذكور في الديوان أو المضافة والاحتفالات تقام في ساحات القرى؛ إذ يتجمع المشاركون وتقام الدبكات على أنغام الناي والمجوز (أرغول) والساحة مضاءة بلهيب الحطب أو باللوكسات، وظلت هذه الممارسات هي السائدة خلال الانتداب وحلت محلها الكهرباء في منتصف القرن العشرين الماضي.

4- الاحتفال: يحيي الاحتفال بالعادة الشعراء الشعبيون يرافقهم عازفوا الناي أو المزمار ويبدأ الشباب أولاً بالدبكة حتى يتقدم بهم الليل يقوم الكهول والشباب برقصاتهم الهادئة بصفوف طويلة يقابلهم صف آخر يصفقون تصفيقاً رتيباً بالأيدي بإيقاع وحماسة الساهرين، وقد يأخذ السحاجون صفوفهم المتقابلة كتفاً إلى كتف ويأخذون بالغناء ويهزون جذوعهم وأكتافهم رقصة الملعب التي تحتك فيها الأكتاف فيتحرك الصف حركة الرجل الواحد ويشترك الغريب في الرقصة هذه ويترك الصف يتأرجح ليؤجج النار أو يتفقدوا القهوة والطعام ومما يقولونه من زغاريد في التعليلة:

عريـــسنا ربنا يخلـيك وكـثر عـليك بالنعائم
ألــفين شاب يباركولك وأنـــت بـالـــعـز دايم
عريـــسنا يـا قبة النور تــضوي على كل وادي
ريت أمك وابوك جابوا عشرة زيك يوم الولادي
عريـــسنا لا توكل هـم سيفك أحمر بينـقط دم
صـغيرنا ضـريبب بارود وكـبيـرنا عالخيل مـــارد

5– ليلة الحناء: إذ تحضر إلى بيت أهل العروس مع ثلاث نسوة من ذوي العريس أمه وخالته وابنة عمه مثلاً ومعهن الحناء. تمزج الحناء بخميرة وبعض الحامض حتى تكثر لسد حاجة الجميع، وأما العروس فتحنا بحناء صرفة ويوكل أمر الحناء إلى ماشطة محترفة مستأجرة أحياناً، ويكرم ذوو العروس النساء الثلاث من ذوي العريس فيطعمونهن الدبس والبيض المقلي بالسمن، وفي إفطار يوم العرس عسلاً وزبداً وتبكي العروس طويلاً في ليلة الحنا لأنها ستفارق أهلها. ثم توزع الحناء على الحاضرين من شبان وأولاد وتصبغ الماشطة شعورهن. وفي صباح اليوم التالي من الحنا تؤخذ العروس للحمام وحمام العروس في المدن الفلسطينية له شأن عظيم إذ يحضرونها في موكب إلى حمام عام برفقة نساء العائلتين وهن يغنين ويصفقن ويزغردن[19].

وفي نابلس يعد حمام العروس من أهم مراسم العرس وتعاد العروس بعد الحمام إلى بيت أهلها بموكب فاخر. ويرافق حزن العروس حزمة من الزغاريد المؤثرة.

سعدان طيـرك ذهب مـا دقــهـا صايغ
يا كسب اللي اشترى يعوض على البائع

فإذا زوجت الفتاة خارج قريتها قيل:

غــريبة غــريبـة غــربوهـا رجـالها مــا غــربـوها إلا كثر الدراهم

فترد إحداهن نيابة عن العروس فتقول:

أهلي جنوعلي وما لي عندهم عيشة لا دللوني دلال العبد أبو ريشة

[19]: الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 4 ص589.

أما صباح يوم العرس للعريس يشرف على حمامه أحد رفاقه وإخوته، والحمام من الطقوس التقليدية ولكنه لا يخلو من الدعابات والمزاح، ويحلق الحلاق الذقن بالوسائل التقليدية كالموس وتستخدم المناشف الساخنة وبعدها يرتدي العريس ملابسه الجديدة ويهزجون له ويستمر المزاح والدعابة. ويقوم أصدقائه بحراسته من فريق المتزوجين الذين يحاولون سرقته إذا أفلحوا بسرقته وإخفائه طالبوا بفدية لرده تسمى(الخلعة)، وهي في بعض الأحيان خروف ومشروبات ويحرصون في سهرة العريس على مصالحة المتخاصمين وهي عادة تخالف الأعراف في سعادة أسرتي العريس والعروس وهذا شيء مقيت.

6- يوم الزفاف: بعد الحمام مباشرة يخرج العريس بالأغاني والأهازيج فيقولوا:

طلع الزين من الحمام الله واسم الله عليه

ورشـوا لي العطر عليه وكل رجاله حواليه

وترش العطور على العريس ثم يمتطى فرساً بيضاء يحرها أحد أقاربه ثم يشيعه الرجال والنساء وهم يهرعون وأثناء المشي يتوقف الموكب في مواضع حيث وجد به أصحاب الموضع بالشوباش والزغاريد ورش الملح رداً للعين.

تركب العروس على ظهر جمل أو حصان وتؤخذ من بيت أبيها، ويقود الجمل صديق العريس أو والد العروس أو عمها، وتوضع على ظهر الدابة المساند والأغطية المزركشة ويدس بينها أوراق شجر الليمون كجالب للحظ والبركة، وتفقس بيضة على رأس الجمل حتى لا يتعثر في الطريق، وتذبح دجاجة لإرضاء الأرواح الشريرة ولا يفعلون هذا إذا كانت المطية حصاناً ويسمى هذا الموكب بالفاردة وفيها يتبارى الرجال في سباق على ظهور الخيل وتزغرد النساء:

يا صـلاتك يـا محمد يا خزاتك يا شـيطان

طـاحت الخيل تـلعب في مـيـدان الـعرسان

يا صـلاتك يـا محمد يـا خـزاتك يـا إبليس

طـاحت الخيل تـلعب في مـيـدان الـعريس

فإذا اقتربت الفاردة من بيت العروس قد تدخل الفاردة قرية العروس في صمت بحالة وجود وفاة أحد سكان القرية لم يمض عليه وقت طويل.

7- عقد القران: يعقد القران في القرى خطيب الجامع، وفي المدن يقوم بعقد القران القاضي أو كاتب المحكمة الشرعية.

يدخل الخطيب أي المأذون مع العريس وذويه ومن المدعوين بيت العروس ويجلس الجميع، فيما يذهب المأذون لسماع أقوال العروس ليسألها عن وكيلها في العقد وعن شروط القران وموافقتها عليها، وأحياناً يكون السائل هو والدها مثل: هل توكلين إلي عقد زواجك؟ فتجيب نعم. ويعاود السؤال ثلاث مرات أمام المأذون، وبعدها يعود الرجال إلى حيث العريس وذويه ليجلس العريس ووكيل العروس وجهاً لوجه وبينهما المأذون الذي يتولى السؤال عن تزوج الفتاة إلى فتاها وبعد الموافقة نقرأ الفاتحة، ويكتب العقد، ويوقع عليه الطرفان والشهود والمأذون.

ولا تحجب العروس عن الفلاحين إلا يوم عرسها، وقلما تتحجب في الأيام الأخرى، وحجاب العروس عادة متبعة حتى في الغرب، ويقولون إذا حجبت الغيوم الشمس (الشمس يوم عروس) وفيما يستعد البعض لوداع العروس ويذكرونها بأن بيت والدها يبقى بيتها ومن أقوالهم في هذا الصدد (مرحبا بك إحنا جمايلك لحانا على كيسك إحنا ما أعطيناكيش لناس حيا الله إحنا أعطيناكي لناس مركنين عليهم، وكل هذا ترافقه الزغاريد لتشعر العروس بعزلتها وكرامتها، بقولهم:

يا عروس ما أخذك إلا اللي قدك رش　　فلـــوس رش المطر

واللي مـا قـدر عـلى مـهرك يا عـروس　　شمت عزاله وانقهر

ويوصون العريس بعروسه:

يا ميخذ رويدتي الله يباركلك　　يـطـول عـــمرك بـتتقبل رويـــدتي عندك

يا ميخذ رويـــدتي الله والـنبي　　سميت أخذت زين السلايل بأعمار البيت

دخول العريس البيت: يسبقه رفاقه بالأهازيج ويستقبلنه النسوة يقلن:

آي يـا أبـو شـاله الـرحـراحـي　　آي ووزارها الـــتفاحي

آي يا مرحبا بعريسنا للي جانا　　آي والمرحوم اللي راحي

وصول العروس إلى بيت العريس: تستقبل بغنا النسوة بقولهن:

يا مرحبا وأهلا　　بعيونها الكحلا

يـــا نخـــلـــة طـــويلة بين الحرم والـصـخرة

يا مرحـــبا يـا عـــزايزي مـيـتـين حمـــرا تزاري

واللي ما بتفرح حنجرتها تتكسر كسر القزازي

8- البيت (بناء المسكن): إن أعظم الاحتفالات العائلية عند الفلسطينيين هي احتفالات الزواج والولادة وبناء البيت، لبنا ء البيت مكانة عالية في نفس الفلسطيني لأنها تمثل ما يستره ويستر عائلته، ولأنها تخص ذكرياته كافة فهو يحن إليها إذا ما غادرها، ويتمنى العودة إليها واعداً بزخرفتها أجمل الزخارف والديكورات، فيقول الشاعر في أغنيته الشعبية:

يـــا دارنا يا أم الحجر الأحمر إحـنا رحـــلـنا وغـيرنـــا تـوطن

يـــا دارنا يا أم الحجل والطوق يـــــا عالية ومـــشـــرعة لـفوق

يـــــا دارنا يا للي ربينا فيكي الإمـــــارات تأوينا ولا تـأويكي

يا دارنا إن نزلوكي عربان غيرنا أتوصـيـــــهم يا دار حتى نعاود

لأجيالـــك يا دار حملين فيك وانفشك يـا دار نفش العرايس

ويتكون بيت الفلاح الفلسطيني من سدة على ارتفاع مناسب تحت السقف تتسع لخزن السمن والعسل والبصل والثوم، ومؤن حقيقية أخرى مثل الخوابي وهي أوعية كبيرة الحجم من فخار عادة لخزن الحبوب، وتترك زاوية تخزن فيها مواد الوقود، كما تبنى المذاود في مستوى مصطبة إقامة الأسرة فيما تقف الحيوانات في الأسفل لتأكل عليقتها، وتلحق بالبيت في العادة زرائب وحظائر للحيوانات.

يشترك في بناء البيوت في القرية أهالي البلد لأن البيت دين وتعاون ووفاء مثل كل الأمور الاجتماعية في القرية، إذ يقف الرجال واحدا بجانب آخر ويتناولون مواد البناء من حجارة بالتناوب حتى تصل لمعلم البناء حيث يثبتها في محلها حتى السقف، ويختم البناء السقف (العقد) بوضع الحجر الأخير فتزغرد النسوة بالشوباش ورصاص الابتهاج.

الزي التراثي

الفصل السادس

الشعر الشعبي والأمثال الفلسطينية

في مدينة قلقيلية: بعد عدوان حزيران 1967 واحتلال باقي أرض فلسطين وسيناء والجولان قام موشي دايان الذي كان آنذاك وزيراً للزراعة بمصادرة خمسة آلاف دونماً من أراضي الجليل الشمالي في قرى (نجف– ودير الأسد في منطقة الشاغور وانتشرت حينها أهزوجة شعرية تقود الصدام الدموي الذي حدث فيها بقولهم:

نادى المنادي في الجليل أرض العروبة للعرب يا حلالي يا مالي

شاغورنا مالك مثيل وترابك أغلى من الذهب يا حلالي يا مالي

وبوحدة رجال الشاغور أمر المصادرة انشطب يا حلالي يا مالي

دايان أمرك مستحيل بوحدتنا رح ينشطب يا حلالي يا مالي

ويفتخر الشعر الشعبي بعروبته ويصر على العودة والتحرير والوحدة:

مهد عيسى وإسراء النبي العدنان من ظلمكم يا غرب هبت مراكبنا

يا صخرة القدس كوني في رضا وأمان وإذ هجرناك إلى الرحمن ظلمنا

نحن عروبة من نسل قحطان وتاريخنا يعلمك أحوال ماضينا

نحن يا قدس كلنا عرب شجعان اصرخي بصوتك تري الآن جينا

من المحيط للخليج كلها فرسان وحياة من بالعرش الرحمن يهدينا

ومن الشعر ما يعبر الشاعر عن حسه السياسي وهو ما حدث مع الشاعر عبد الرحيم محمود عندما جاء الأمير سعود ولي عهد السعودية لزيارة القدس وقد استقبل في طولكرم ووقف الشاب الشاعر أمام الحشود بقوله:

يا ذا الأمير أمام عينيك شاعر ضمت على الشكوى المريرة أضلعه

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه

وغداً وما أدناه لا يبقى سوى دمع لنا يهوي وخد نقرعه

أما غناء الجفرة فإن الشاعر الفلسطيني يوظفها في مجال وطنه وحقه بوطنه بقوله:

جفرا ويا ها لربع من هونا لمصر ومجينك فلسطين إبتعصرنا عصر

واحنا شباب فلسطين عنوان النصر ب الله بهجم عا العدا هجمة جماعية

وعن مكر العدو وخططه وضرورة التمسك بالأرض:

عم يجد ويغامر بطردك من العلية

خصمك يا عزيزي شاطر وبفن الحيل ماكر

إذا ما الجو صفا له الضحك عليك يحلاله

أصبح تغره أموالك لو يدفع بالشبر مئة

أصح تخون الأمانة وتهرب من الميدان

قل لي إيش قيمة الفرد بلا سكن أو حمية

ويرى الشهيد غسان كنفاني أن الشعر الشعبي في الأرض المحتلةلم يكف أبداً عن القيام بدوره في المقاومة مستعملاً جميع الوسائل التي يستطيع الشاعر الشعبي تجنيدها ليجعل منها سلاحاً وقت الحاجة.

وكثير من قرى الأرض المحتلة يعتقدون أن مصرع الشاعر الشعبي المعروف (أحميد) في أم الفحم في أواسط الخمسينات وهو على رأس تجمع كان محاولة للوقوف في معمعة آلاف من المواويل والعتابا والميجنا التي كان يوزعها في طول الجليل وعرضه ضد الاحتلال، ولا ننسى الشاعر الشعبي إبراهيم الصالح (أبو عرب) من قرية الشجرة الذي وافته المنية منذ ثلاثة أشهر، إذ ملأ الدنيا وحرض ضمائر البشر في كشف معاناة الشعب الفلسطيني، وتحبيب الأجيال الفلسطينية ببلدهم المغتصب، وقد وظف قدراته الفنية في كشف الصهيونية وتحالفها

مع المستعمر بأسلوبه النقدي وصوته العذب وكلامه اللاذع وحديثه الجاذب. وكم كان لغنائه الغزير أثره البالغ والحماسي في عقول الشباب والشابات المقاتلين والمقاتلات حتى تبنت أشعاره بعض الفضائيات ودور الإذاعات وازدحمت أشعاره لتحتل أرشيف الإذاعات المسموعة منها والمرئية.

ولقد امتدت الظروف الصعبة بالشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور حتى اليوم ففي بيت العتابا نرى قصة وعد بلفور الظالم.

وعـد بـلفور ها المـشؤوم جــائر　　على الرهبان والإسلام جـاير

تناس العدل وأضحى العالم جائر　　ملوك العرب ما فيهم حساب

إن عدم تجاهل الوضع الحالي المأساوي نرى ذلك من خلال بعض المواويل:

كنــا في العمر مــهما طــعنا　　أســود الغـاب في الغابة طعنا

أتــانا زمــن في الأحـشا طــعنا　　سهم ماضي إلى حد النصاب

تشــقينا بهــا الــدنيا وضــعنا　　الكون بأسـره كله ما وسـعنا

وكــل الــناس بـيـتنـا وسـعنا　　وعند الضيق ما لقينا صحاب

ووصف في بعض الأحيان الواقع كما سنرى في بيت العتابا بقوله:

قالوا خسارة للعرب أكبر خسارة　　وعلينا وعالجميع ما هو خسارة

على الرملة وعلـى اللد الخسارة　　يدوســها العـدا وإحنـا عـرب

الغناء: مفهومه – وأنواعه في حياة سكان قلقيلية

هو صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدال على المعاني، وتشترك الأمم في العادة على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري والظاهرة الطبيعية إذ أن حنجرة الإنسان تتكون من أوتار متفاوتة والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل، فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر ويلقب مثل هذا الصوت تكتيكياً بالصوت الصدري، أما الغربيون فيختلفون

بطريقة يهزون بطريقة مدروسة اهتزاز بأجزاء من أوتار الحنجرة فقط مع ارتخاء بالحلق وتنفس من الأنف، ويعرف هذا الصوت بصوت الرأس وقد حدد خبراء الفن أنواع الأغاني العربية بما يلي:

1- التحنين: أغاني للحجاج.

2- الندب: تقوم به نساء محترفات تعبر عن الحزن.

3- المطوعة: أغنية الزفاف للمرأة البدوية.

4- القصيدة: ذات القافية الواحدة في الطرفين الثالث والرابع.

5- الموال: على نوعين (موال مصري وموال بغدادي).

6- العتابا: اعتبرها موالاً ذا أربعة سطور.

7- الهلابا: شطران ينتهيان بكلمة هلابا، كذلك مطالع المعنى والقريدي.

8- الجعيدي: نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد.

9- الزجل: ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه، مثل الميجانا- موليا-زينه- هويدلي.

10- الترويد: تعني في الأعراس ولدى البدو وعند حلب المواشي.

11- الحداء: غناء أثناء رعي أو قافلة الجمال.

12- أهلالا: وتغنى في الكروم، كما تشمل الشوباش ثم الزغردة وتقال (إإيها) في شمال فلسطين و(آآيها) في جنوبها[20].

وبعض الأغاني يحمل صفات مصرية (يا عزيزعيني) ومن السورية واللبنانية أو عراقية. زريف الطول، مرمر زماني.... وغيرها.

ومن العراقية الموال البغدادي والميجانا ومن البدوية، وإن أكثرها انتشار من الأغاني في كل القرى بفلسطين هي الدلعونة وتأتي على طريقتين في الأداء يلتزم بأحدها عازف الناي أو المجوز أو الربابة المنفرد.

أما فيما يتعلق بالمعنى فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحناً وتضامناً، وبالنظر إلى عدم وجود مكبرات الصوت قديماً كان المفروض أن يكون المغني صوته عالي جهوري قوي، ومن مؤهلات المغني أيضاً أن يكون ذا ذاكرة قوية يحفظ

[20]: الموسوعة الفلسطينية عام مجلد (1) ص635.

الكثير من الأغاني والأشعار. وفي الأعراس عادةً يبرز إلى الساحة شاعران للمناظرة والتحدي حول موضوع معين مثل: الفلاحة والمدنية، والبيضة والسمرة، والعلم والمال، والكرم والبخل، والسيف والقلم، وغيرها والكثير منها ما يحدث في السحجة.

وقد تكون الخلفيات الاجتماعية للأغنية الشعبية في ظروف المجتمع وعاداته وتقاليده من البداوة إلى الزراعة وحياة المدن إذ تبين العادات التي تركز على الأسرة كوحدة تقليدية فالأسرة تعتز بأمجادها وتحاول دوماً أن تحتكر المكانة الاجتماعية في مجتمعها، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية ثم تماسكها الوحيد ضمن إطارها (أنا وابن عمي على الغريب) والزواج بنظرهم هو اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد الزوجين، وتحتل عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل ابن العم حتى على ابن الخالة وما ينتج عنه من مشاكل وإضاعة للفرص المفضلة للعروسين فيما ترك لهما حق الاختيار.

ابن العم يا شعر على ظهري　　إن حال الموت لا رده على عمري

ابـن الـعـم يـا نـوبي علينا　　إن حـال المـوت لا رده بـأيـدينا

وقد أقيمت في قلقيلية قاعات خاصة تقام فيها الأفراح وهي مجهزة بكل ما يلزم من مقاعد وكراسي وموائد وساحات للرقص والدبكة ومكبرات الصوت المبالغ فيها أحياناً ومطبخ يقدم الطعام والشراب.

ومن الغناء في الأضداد بين السمراء والبيضاء من النساء في السحجة:

يـاللـي سـافرتـوا عـودوا إلـينا　　لا تطيقوا الجفا تزيد الهموما

قالت السـمرا واحـنا الهـرايـس　　واحـنـا المحـارم بيد العرايس

روحـي يا بـيـضـا يا لـبـن رايب　　واللي بهواكي يـصبح مجنونا

يا متخذ السمرا ويش بدك فيها　　يا رمل البحر شـنـو يجليـها

في البتير الخـارب والله ارميـهـا　　واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف الجفرا: وهي أغنيات الدبكة: إذ تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع ألف ممدودة.

عالعين يا ام الزلف عـين الزلـف لـينا

قلبي جرحـه الهوا ويـن الـدوا لـيها

جفرا ويـا هـالـربـع عـا البيـر نـشالي

ومـزنـرا بـالـطـقـم فوق الطقم شالي

ولادة المرأة:

عندما تلد المرأة وتخرج القابلة لإعلان النبأ فإن كان المولود ذكراً تعبر بزغرودة من الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها بقولهن:

إيه ويها جـابـت وقامـت إيه ويـها ومن فراشـها ما نامـت

إيه ويها والله الحمد يارب إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وهناك **مهاهاة للولد المولود:**

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيه ويها عيـش وأكبر يا هالذكر

إيه ويهـا يـا عـطية ربنـا إيه ويها ويا ما نال إلا اللي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم فلا تؤكد المولود ذكراً أم أنثى وإنما تقتصر على الدعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة.

إيه ويـها وقفـت حمـامتنـا إيـه ويـها ونعـلب طـاقتنا

إيه ويها لا فرحنا بنت وصبي إيه ويها إلا سلامة حبيبتنا

وإني بهذه المناسبة سأحكي للقارئ الكريم قصة (أبو حفصة) وهو رجل متزوج بامرأة تلد له بنات حتى أصبح لديه ست بنات، وحملت زوجته التي يحبها ويحترمها لكن الرجل كان يتمنى له صبياً، ولعب الشيطان بعقله وصمم إن ولدت له البنت السابعة سيترك البيت. وهذا

ما حصل إذ سمع نبأ السابعة وغاب عن البيت واستأجر بيتاً مقابل بيت أسرته، وفي يوم خرجت الزوجة لتنشر الغسيل على الشرفة ورأت زوجها يطل من النافذة وقالت:

ما لأبي حفصة لا يأتينا　　زعلان أن لم نلد البنينا

تالله ما ذلك في أيدينا　　نحصد ما يزرع فينا

تأثر الرجل ولعن إبليس ورجع لبيته يعتذر ويحمد الله على نعمه، وعاش مع زوجته وبناته في سلام ووئام، وفي قلقيلية وما جاورها من منطقة المثلث فإن الأغاني الشعبية تتلخص بما يلي وما أكثرها.

العتابا والميجانا

عن الغربة الطويلة:

وساع لايبلغ منتهى　　وناسك لا يصل معبده

وأغمس ريشتي في قلب قلبي　　وأدمي وجد مغتصبي بشعر كالسكاكين

وإن كسر الردى ظهري　　وضعت مكانه صوان من حجر حطين

وتأكيد على الهوية الفلسطينية يدعو معين البسيسو إلى الحذر[21]:

يا جلدنا حذار　　يا وجهنا حذار

يا وجهنا الذي أراه كلما امتداد　　وكلما أوشك أن يصير بدراً

أطلقوا عليه النار

[21]: الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 4.

وصورة الوطن لسميح القاسم متعددة منها:

قـامـرت في مـلهى الـسنـين خسرت جوهرتي الفريدة في مزاد الآخرين
وبكيت في أسف وأخفيت دموعي ودفـنـت في صـمـت أنـاهـيـدي

وأبـنـت الـربـيـع

ورجـعـت للـبـيـت الحـزيـن أبكي على جدرانه وأبوح بالسر المهين

ومن العتابا ما يعبر عن الغزل في الجمال بالاستعارة والتشبيه:

ثلاث غزلان ناحي العين مـاضين بقـلبي نـاصـبات جـراح مـاضين
كشف جرحي الطبيب وقال ما ظن مـا ظـني بـطـيـب مجـروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي ضمت بين القوام الرشيق والشعر المايل والعاشق محتار ومعذب بعدما رفض أبوها طلبه قائلاً:

يـا طولك طول الزان لو مال يا شعرك حير الجدال لو مال
وبوكي لا قبل فـضة ولا مال كـيف الراي عندك والجواب

وزريف الطول ودلعونا إذ يتغزل الفتى بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ كالصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يـاللي رابيي بدلال أمك وأبوك
يـومـن جـانـا الخبر إنهم خطبوك شعر راسي شاب وقلبي انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلـعونا على دلعونا نـسم يا هوا الغرب الحنونا
بالله إن متت يا ما اقبروني بأرض بلادي بفيء الزيتونا

ويذكرني هذا الشعر بما قاله الشاعر القروي اللبناني وهو عائد إلى بلده من الاغتراب الطويل بقوله:

بنت العروبة هيئي كفني أنا عائد لأموت في وطني

تنويم الأطفال: ومن عادات أهل فلسطين في تنويم أطفالهم بقولهم

نامت عـيونك وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة على مخلوق ودامت

وقولهم:

هللـــي لـه يـا حمامـة هللـــي لـو ليـنام

وافرشلك الريش الأخضر والوسائد وريش النعام

أما **اللعب مع الطفل وترقيصه:** فيعتمد على نموه وفق إدراك أمه بأن وليدها يتحمل اللعب والترقيص وذلك بوضع يديها تحت إبطه فترفعه إلى الأعلى والأسفل بحركات ترافق الأغنية مثل:

ميـمتو يـا ميمته يـــا ربـــي تخـليه

وتخـــليه لميـمتو وتـــكبر لـو عينيـه

وان شاء الله بيكبر ويحمي ها الـــشباب

ويحمل على جنبه سيف وجراب وشبريه

أما **ختان الأطفال** فيقال فيها من الأغاني:

طهرو الشلبي وناوله لأمه يا دمـوعه الغالية نزلت عكمو

يا مطهر وامسح بالشفرة لا توجعلي محمد يا زين الأمرا

و**التحنينة**: تغنى للحاجة من النساء ليلة سفرها بقولهن:

بيعي السوارة حجي قومي　　اركبي بيعي السوارة بحب النبي

افردي غطاك حجي قومي　　اركبي افردي غطاك بحب النبي

يشغل نقابك ويرفرفه الهوى　　يشغل من تيابك ونقابك يا حجه

وبالنسبة لأغاني رمضان يجتمع الأولاد ذكوراً وإناثاً قبل أذان المغرب يرددون معاً أغنية يقولون فيها:

أذن يا خطيب　　قبل الشمس تغيب

سبع مكاسب　　للنبي الحبيب

طاسة فوق طاسة　　بالبحر غطاسة

تغطي بلدنا　　وتحقق مرادنا

مرادنا بالعلية　　يسوى ألف ومئة

ومن الأغاني القديمة أيضاً ذات المصادر البدوية مثل:

يا طيورالطايرة　　يا مراكب سايرة

سلمي عمي وبوي　　وقولي جبينه راعية

ترعى غنم ترعى سخول　　وبتتقيل تحت الإلية

ومن أغاني الأطفال في لعبهم:

هز التين يا ورور　　وبعد التين ما نور

ما نور إلا الزيتون　　يا زيتون احمل ليمون

في التقويم الشعبي

1- في الطقس وفصول السنة

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء، فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين ويبدأ في 14/أيلول وهو:

عيد الصليب لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد، وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون شراقي الصليب أو شراقي الخريف. وهذه الرياح هي العلامة الفاصلة بين الصيف والشتاء وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول لذلك يطلق المثل (أيلول طرفه مبلول) وإذا هطلت الأمطار يقولون (الموسم بدري) وإذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى، وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه، ويقولون في سنة الشراقي (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب وينشرونه حتى يجف ويصبح زبيباً.

ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء كما يقولون[22]:

الأولى والثانية والثالثة (يوم إفتوح) ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم إذبوح) والسابع والثامن والتاسع (يوم إمنوح) أي شتاء جديد في تفسيرات البعض.

وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس: (مالك صيفيات بعد الصليبيات) ويقولون: (إن أبرقت على الصليب ما تغيب) وفي شمال فلسطين في الزيب والناقورة يعرف الناس أن البرق علامة المطر(عند البرق الدنيا بتتخبط) وأما إذا أبرقت وأرعدت (زواريبها طرطقت) ويقولون عن المحاصيل (متى صلبت خربت) أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع. ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم فيقولون إن العنب والتين يودعان السنة.

وفي أكتوبر تشرين أول تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد) (شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد).

أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض) والفحول الرمز للإخصاب ويقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل) ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها، أما شهر شباط فهو غير مستقر (شباط الخباط ما عليه رباط)، أما المستقرضات فإنها

[22]: الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 4 ص 660 فكتور سحاب.

جاءت في قصة العجوز وغنماتها والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل المطر فسمع شباط هذه العجوز وهي تقول: راح شباط ودسينا في عجزه المخباط) فغضب شباط وقال لأخيه آذار: يا ابن عمي أقرضني ثلاثة أيام من عندك وأربعة مني حتى نغرق هالعجوز وغنماتها) هذا ما قرأته وأكتبه لكن القصة تروى بشكل آخر فالاتفاق صحيح لكن القصة تقول: يا ابن عمي أقرضني ثلاثة ومني أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها أي لم يبق للعجوز من الوقود إلا دولابها الذي تغزل به وتعتاش منه من شدة البرد.

أما الربيع هو العشب ويؤمنون بأن العشب يبقى أسيرة (المربعنية) وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار. وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام من يوم واحد إلى 12.5يوم ويقال (أسعد ذابح) وهي فترة باردة ويقال في القصة أن أربعة أخوة كانوا مسافرين وخلالها مات ثلاثة منهم من البرد ولم ينج سوى أسعد الذي ذبح ناقته واختبأ فيها. ثم أسعد بلع (بلع كل ما فوق الأرض) 13 -25 شباط، وسعد السعود (بذوب المية في العمود) من 28شباط -10 آذار إذ تستعيد النباتات الحياة وتتفتح البراعم، سعد الخبايا ويقولون (بتطلع الخبايا وبتتنقل الصبايا) حتى 22 مارس.

أما بالنسبة للأمطار ورصدها: يراقب الفلاح في قلقيلية الظواهر الجوية لأنها دليله إلى معرفة الطقس، وقد يكون قوس قزح علامة على أن المطر غير محتمل فيقولون (إن قوست باكر احمل عصاك وسافر وإن قوست عشية شوفلك مغارة دفية).

أما الرياح فهي ضرورية وفي ذلك يقولون (ما مطر بلا رياح وما نوم بلا صباح) ويقولون أيضاً (إن هبت غربي يا سعد قلبي) ويتفاءل الفلاح من هجرة الطيور إلى فلسطين ففي بداية الشتاء يقال: (سنة الحمام أفرش ونام) فلا تنفع الحراثة لأن الموسم رديء بينما قدوم طير الزرزور يدل على موسم جيد (سنة الزرزور أحرث في البور) وسنة طير القطا (نام بلا غطا) فلا برد ولا زرع ولا مطر[23].

وإن الفلاح دائماً يدعو الله ليتنزل المطر قائلاً:

يا ربنا أطعمنا يا مطعم الطير　　في ظـــلام الليل

يا ربنا أطعمنا يا مطعم الدود　　في الحجر الجلمود

وهناك دعاء الاستسقاء. إذ يطوف الفلاح وجماعته وبأيديهم العصي والطبول ويرددون:

يا ربي لا تؤاخذنا　　كلـه مـن مـشايخنا

مشـايخنا هالكبار　　يا رب تحرقهم بالنار

[23]: الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 4 ص 660 فكتور سحاب.

المواويل وما يتعلق بالأرض:

حراث يا عمـــي رمـي على البقر رمي

وكم مليحة تقول لـلـــنـذل عـــمـي

حراث يا خـــالي لا لي عا البـقر لا لي

وكم مليحة تقـول لـلـــنـذل خـــــالي

أما مخاطبة المنجل:

منجلي يـــا منـــجلاه راح للـصايـغ حـلاه

منجلي يا بو الخرافيش طـاح بـالـزرع يطاحن

منجلي يـــا بـو رنـــة وأنـا جـبـتـه مـن غزة

وعن قطف الزيتون:

يا زيتون إقلب ليمون إقلب مسخن في الطابون

يـا زيـتـونـة بو مري هـرلـي بـلح هـرلـــي

يـا زيتونة بو عـرمـوش هـرلـي ذهـب وقـــروش

ومن غناء الرعاة التي تتحدث عن الراعي الذي ترك مهنته ثم عاد وقت طويل:

طلبن الغنم من قرنه الزنـار عرفت الغنم واغشمت هالرعيـــان

طلبن الغنم من قرنه الوادي عـرفت الغـنـم واغشـمت الـــراعي

أما دعاء طلب المطر:

يـــا رب مـا هـــو بطر بـنطلب منك مـــطر

يـــارب ما هـــو غـيـة بـنطلب منك مـــية

يـا رب مـطر مـطر حتى نـــسقي هـــالبقر

يا رب رشاش رشـاش حتى نـــسقي هالجحاش

وغناء البناء والبنائين: صـلى الله عـالزين الهادي ومـعانـا مـدوا الأيـادي

ثم يغني أصحاب البيت وهم يدعون بمساعدة معلم البناء:

إعطـو الـمعلم مـا طـلب أعـطوه عـكا مع حلب

ومن أغاني الحث على العمل الجماعي:

يا النشامى شيلوا شـيل والنـشامى شيـلوا شيل

وما ينـفع قـليل الحـيل وما ينفع قـليل الحـيل

وعندما يتم بناء الدار يغني الشغيلة:

يا معلم مـــبروكة الـــدار والبخـشيش عشرة دينار

يا معلم مـــبروكة الـــدار يكبروا ويسكنوها الصغار

أما علاقة الفلسطيني بالبحر:

فلان نزل البحر وبيده كيلة يـا رب يـــرجـع لهـــا الـعيلة

فلان نزل البحر وبيدو ابريق يـا رب يرجع سالم من هالطريق

فلان نزل البحر لولح محرمته يـا رب يـــرجـع ســـالم لحرمته

وينشد الصيادون سواء على الشاطئ أو في عرض البحر:

وأجى طولك على طولي بـلا قيس وبحر حايط الدنيا بلا قيس

وحـــق مـين خـلق الدنيا بلا قيس قـلبي مـا هـوى غيرك حدا

2- الجيد والمكروه من الحيوان

أولاً: النظرة إلى الحيوانات والطيور من فال وحسن.

فالهرة من الحيوانات المحببة لأنها حمت النبي من الثعبان فباركها، ويعتقد الناس أن القط ليس نجساً فلا يضر الآدميين الشرب من نفس الوعاء الذي يشرب منه القط، ولا يرون هذا في الفئران والكلاب ويقولون: ‘‘من يلعب مع القط يصبر على مخاميشه".

والفأر: حيوان نجس في عرفهم لأنه من عطس الخنازير في فلك نوح إذ خرج من عطس الخنزير الفأر.

والخلد: ابن عم الفأر وهو من الخبث والاختفاء عن الناظرين.

والأرنب: يرمز عندهم لأمرين فإذا قيل عن شخص أنه أرنب كان المقصود بأنه جبان شديد الخوف، وإذا قالوا في المرأة أنها أرنبة (أي أنها بتمشط شعرها وتفرش بيتها) يعني أنها حسنة التدبير في منزلها.

والطيور المشؤومة: البوم والغراب لأنهما يعيشان في الخرائب ويبحثان عن الجيف وكلاهما نجس وتشاؤم للناس من صوتيهما ومنظرهما. فإذا سمعوا صوت البوم يقولون "فالك على حالك"، ويقولون عمن يحمل خبراً سيئاً ‘‘زي البوم أو زي غراب البين".

و**القطا** من طيور الشؤم لأن قدوم القطا يبشر بقلة المياه فيقولون:

(سنة القطا بيع الغطا)

والطاووس رمز الخيلاء والكبرياء في المعتقدات الشعبية الفلسطينية.

ومن الطيور المتفائلة **البط** (فرخ البط عوام).

والدجاج: (فلان مثل الجاجة رزقها بين رجليها).

والحمام: هو المفضل في جماله وحسن فاله فالحمامة تشبه بالمرأة الجميلة الوفية، والحمام طير مبارك لأن الحمامة بشرت بانحسار الطوفان، وعادت بغصن الزيتون[24].

والجمل من الحيوانات التي توصف بالصبر على المشقة فالمرأة عندما تخاطب زوجها أو أخاها فتقول (يا جملي أو يا قعودي)، وإذا طلبوا عروساً أو دفعوا دية قالوا (إحنا جمالكم حملونا) ولكن المرأة لا تنصح ابنتها بزواج جمالاً فتقول:

يا ميمتي لا توخذي الجمال يومين عندك وعشرة أيام بالشام

[24] : الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد 4 ص 668 فكتور سحاب.

والبغل في عرف الفلاحين رمزاً للحقد والغضب والرعونة وسوء التدبير، كما أنه لا خلف له أو نسل، ومن يرى سبب حرمانه بأنه مغرور أعان نمرود في نقل الحطب لإضرام النار التي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم.

أما **الغزال** فهو رمز الجمال والخفة المستحبة والتشبه بعينيه وعنقه بعيون الجميلات ونحورهن.

ويعد **الغنم** رمزاً للسخاء والطيبة وصورة لضحايا أشرس حيوان فيقولون (فلان بناطح في قرون من طين)، ويعتقد النصارى أن العذراء مريم هي التي حماها الخروف.

والفرس عند البدوي والفلاح في فلسطين أشرف الحيوانات وبها يضربون المثل فيقولون: (مثل الفرس الأصيل كل ما طال المشوار بتجود).

ثانياً: الحيوانات المكروهة فهي غير مرغوب فيها لمنظرها وسلوكها هو **الضبع**؛ وهو من أرهب الحيوانات لأنها وحوش خادعة مخيفة لكنها لا تخيف الراعي الشجاع من الناس ويقولون (ضبعه) أي أفقده عقله من الخوف إذ يقفز الضبع على الماشي ليلاً إذا كان وحده وبدون حس يفاجئوه بصوت عال مخيف ترعبه فيلحق به حيث يصرعه ويأكله.

ومن أنجس الحيوانات في عرف الفلسطينيين **الخنزير** فهو رمز القذارة والحطة والنجاسة ولا يشتم أحد بالخنزير إلا المكروه.

أما ابن آوى (الثعلب) هو حيوان محتال سائد ذكره في المأثور الشعبي بحيله وذكائه.

والثعبان أنجس الحيوانات إنطلاقاً في المعتقدات الشعبية وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة، ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة.

وتحرم المعتقدات الشعبية قتل **السحلية** فإذا قتلها ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.

وأخبث الحشرات **أم أربعة وأربعين** ويضربون بها المثل في الخبث والمكر.

وأن **الحرباء** غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق.

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه والأمثلة كثيرة.

النباتات والمعتقدات: تروي عجائز القرى الإسلامية عن **(الدالية)** أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس فالقرد والخنزير وعندئذ صار من يشرب من عصيرها شرساً كالأسد، متكبراً كطاووس، وثرثاراً كالقرد، أو نجساً كالخنزير.

وشجرة الرمان من الأشجار المباركة ولها سلطان على الأرواح الشريرة، وكثيراً ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال. كما أن شجرة الزيتون مبجلة موقرة في فلسطين لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس وتسمع موسيقى غير مألوفة، وإذا نفخت الريح من حول هذه الشجرات سمعت أصوات تردد الله الله[25].

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون درهم وقاية خير من قنطار علاج.
- عصب اصبعك مليح لا يعمّل ولا بقيح.
- بالنسبة للحمية يقولون" أن وجعك رأسك أكرمه وإن وجعك بطنك احرمه".
- كل من الكافر ولا توكل مع طويل الظفر.
- اللي بيوكل عضرسه ينفع نفسه.

إن الطب الشعبي يلزم العلاج وكانوا يعتمدون على رجل من الناس عنده خبرة وأدوات للتشطيب لإخراج الدم الفاسد من كاسات الهواء، وفصد الدم من الوريد أو مسمار كي والقصب البري الين يجبر اليد المكسورة ومزج بعض الأعشاب.

وللبثور زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران والكبريت وزيت الزيتون والحناء المجبولة بالماء والطحينة.

ويعالجون السعال بنبات البابونج، وحتى يدر البول يغلون الشعير وماء البقدونس، والرشح يدهنون صدر المريض بالزيت الحامي ويسقوه البابونج والزوفا، وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل، وللإمساك ينقعون بذور الخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني: طاسة الرعبة: وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم مصنوع من النحاس أو معدن منقوش عليه سورة من القرآن على الغالب آية الكرسي أو المعوذات، ويوضع فيها ماء غير معرض للشمس ويسقى الخائف أو المريض، وينقش على الطاسة كتابات أخرى مثل "بإذن الله " تشفي هذه الطاسة النادرة من السموم كلها.

[25]: الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 4 ص 664 فكتور سحاب.

وبعض الطاسات توحي للأبراج لأن كل إنسان له برج حسب مولده وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه لذلك إن شرب من طاسة الرعبة يضمن المرء لأي برج ينتمي.

وعلى ذكر الأبراج فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية، واعتقد أن الناس في هذه الأيام يعتمدون على أسماء البروج الشمسية وأنا أسهل للقارئ حفظ الأبراج القمرية ببيتي الشعر.

(حمل) الثور جوزة السرطان ورعى الليث (سنبل) الميزان

وزنوا عقرباً وقوســاً بجـدي ومن الدلو تـشرب الحـيتان

أما معتقدات الطعام: يعتقد كل فلسطيني بأن الطعام قسمة ونصيب وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له، لذلك هناك أقوال مأثورة عديدة بهذا الصدد: "إعزم وإلزم والأكل نصيب" وأحياناً يتأخر شخص على العزومة فيأكل شخص آخر طعامه غير مدعو في الأهل فيقولون: "ما حدش يوكل نصيب حدا". وإذا قيل للمدعو لحثه على الاستزادة "أكلت اللي فيه النصيب". **والأمثلة كثيرة عن الأكل مثل** :

- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار).
- غُب غب الجمال وقوم بأول الرجال.
- أطعم الفم تستحي العين.
- إن غاب عنك السمن عليك بالزيت (القناعة بالموجود).
- الله بيطعم الحمص للي مالوش أسنان.
- طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية.
- اللي بدو يوكل عسل يصبر عقرص النحل.
- اللي عنده قمح يقرضوه طحين[26].

[26]: الموسوعة الفلسطينية خاص، مجلد4، ص 665 فكتور سحاب.

الفصل السابع

أحياء وعائلات ومعالم أثرية في قلقيلية

كانت قلقيلية ناحية من نواحي لواء طولكرم رغم توسعها وكثرة الإجراءات إدارية في الضفة الغربية، وأصبحت قلقيلية محافظة تضم مساحة تقدر ب 166كم مربع.

وبعد احتلال الضفة استولت على 80% من أراضي قلقيلية الزراعية خاصة فأصبحت أسيرة محاصرة بعد بناء الجدار الجائر الذي يفصل أراضيها عن باقي القضاء. ولما كان موقعها يشكل عقدة للمواصلات فيصل الشمال بالجنوب والغرب بالشرق؛ إذ تصل بين صفد وعكا وحيفا وطولكرم شمالاً وبئر السبع والمجدل وغزة جنوباً، كما تربط نابلس وما والاها شرقاً بيافا وقراها غرباً.

وهي نفس الأهمية التي حظيت بها قديماً يوم كانت محطة بارزة للقوافل التجارية تحط عند ينابيعها للراحة في الاستراحات، وكانت قلقيلية منطلقاً للجيوش والمعارك عبر التاريخ وزادت أهميتها بعد أن مر فيها الخط الحديدي القادم من حيفا ليتفرع بعدها إلى المدن الفلسطينية ومنها إلى مصر.

أحياء مدينة قلقيلية

تشمل قلقيلية حسب تقسيمات القسم الهندسي في البلدية العديد من المناطق تصل إلى أكثر من 30 منطقة، وهي:

كفر سابا	سهل صوفين	الظهر الغربي	النجمة	النتشة (صالة الأمراء)
العينبوسية/ بير قبعة	العرقدة/ البنك العربي/ شريم	القريّة/ جنوب الظهر الغربي	الحصميص	غياظة
القطعة/ منطقة عوينات	السباتي/ غرب شريم (شريم)	الطبال	الرزازة	المقشور

النقار	الدوار/ جلجولية	مقتل بكر (حارة العبرة)	الطبال	السرايا (وتمتد إلى خلّة الجلد)
المحجّر	أم الدرب/ شرق شريم وتمتد إلى منطقة الظهر	خلّة الجلد/ جنوب المسلخ	مرج الخب (خلة الراعي وشرقها)	الشكاير
الرهنات/ بير العدل	الظهر الشرقي	خربة صوفين/ شرق البلد	مرج الزيتونات (حارة القرعان)	النتشة (صالة الأمراء)
سطوح جيوس (الكارة أو التشارة)	يوبك غرب (مروج جيوس)	خلّة عمرو (بعد وادي أبو سكن)	البلد القديمة	

منظر عام لأحد أحياء قلقيلية

شارع جلجولية في قلقيلية[27]

عائلات مدينة قلقيلية [28]

الهرش–هلال –قشمر –الفيومي –أبو فروة –قاسم –أبو مسلم –الفار –برهم –فراج –داود –العوراني –عويشات – عوينات –عنتوري– بيت دارس–حساين –الحمد لله –حوتري –طيب –عكاوي –علم –عابد –العبد –الحاج –أبو خدوج –أبو خديجة –أبو خضر– الصوص –لبدة –أبو قدورة –دياب –راعي –جدوع –حوثري –ثملي –ماضي –زيد الجنوبي –زيد الشمالي –أقرع –الشنطي –ياسين – زهران –جبارة –سويلم –أهالي مسكة –نزال –صبري الغربي –عامر –سهم الليل الجديد –عناية –أبو حام –شريم –صبري– الشرقي – حمدان –سهم الليل –جعيدي –القرعان –نزال –يونس عمر –مصلح –عودة –نوفل –الشرفاء –سنينة –سليم– عياش.

---

[27]: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

[28]: موقع فلسطين في الذاكرة، mailto:http://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Qalqiliya_1475/Article_7930.html

آثار قلقيلية

هناك بعض المعالم الأثرية التي تدل على الجذور التاريخية لهذه المدينة تعود إلى العهد الروماني والعهود الإسلامية من أهمها:

- صوفين: وهي منطقة شرق قلقيلية، امتد إليها العمران وهي أعلى منطقة في قلقيلية، وبني فيها مسجد محمد الفاتح.
- خربة حانوتا: شمال قلقيلية تحتوي على صهاريج منقورة في الصخر وشقف فخارية ومدافن محفورة ومنها منحوت.
- خربة النبي يامين: تقع جنوب غرب قلقيلية، وتنسب إلى أحد أسباط بني إسرائيل.
- النبي شمعون: شمال غرب المدينة وبها تلال أثرية وبقايا أبنية وبئر ماء.
- الجامع العمري (مسجد عمر بن الخطاب): وبناء هذا المسجد من الأقواس الأثرية.
- حديقة الحيوانات: تأسست عام 1986 م وهي معلم سياحي ووحيد من نوعه في الضفة الغربية، وتقع شمال مدينة قلقيلية.
- مقام النبي إلياس: معلم ديني وأثري يقع في وسط قرية النبي إلياس شرقي مدينة قلقيلية، ويحتوي المقام على ضريح النبي إلياس وقد بناه السلطان الظاهر "جقمق" سنة 890 هـ.
- السرايا وشعار العثمانية: معلم أثري تقوم عليه الآن مدرسة المرابطين، وقد كان البناء الحالي يستخدم كسرايا في العهد العثماني، ويلاحظ على واجهته شعار الدولة العثمانية، ويقع في وسط مدينة قلقيلية.
- البرك الرومانية: وهي عبارة عن معلم أثري يعود إلى العهد الروماني، ويقع في وسط قرية سنيريا ويتكون من ثلاث برك رومانية متوسطة الحجم.
- مسجد حجه: معلم أثري ديني يعود إلى العهد المملوكي يقع في وسط قرية حجه، ويتكون من بيت للصلاة وساحة خارجية ومئذنة وضريح ومتوضأ.
- أم البلابل: معلم أثري يقع شمال قرية كفر لاقف وهو عبارة عن كهف قديم.

ويوجد في قلقيلية العديد من المناطق والمعالم السياحية الأخرى، ولكن أغلبها بحاجة إلى إعادة تأهيل، وتعتبر محافظة قلقيلية فقيرة بالآثار البارزة مقارنة بالمحافظات الفلسطينية الأخرى، إلا أن ذلك لم يمنع الحركة السياحية فيها من النمو وخاصة السياحة الداخلية التي أخذت تنشط في السنوات الأخيرة بسبب جمال المنطقة، فهي خضراء تكثر فيها الأحراش والبيارات عدا عن توفر الماء بكثرة، وكذلك قرب مدينة قلقيلية من الخط الأخضر جعلها مركزاً تجارياً هاماً يتوفر فيه أنواع من التجارة " الأسواق" التي تفتقر إليها محافظات أخرى من " تجارة الأثاث المستعمل" وهذا جعلها تستقطب المتسوقين وبالتالي السائحين، وقد ساهم في رفع الحركة السياحية في المحافظة وجود بعض المرافق

السياحية مثل: حديقة الحيوانات التي تكاد تكون الوحيدة في الضفة الغربية وقطاع غزة وكذلك المنتزهات الكثيرة على مداخلها مثل منتزه المحترم، ومنتزه ومسبح العنتوري، ومسبح الكروان، ومنتزه بلدية قلقيلية، وأخيراً وجود بعض الآثار كالمساجد المملوكية والعثمانية وكذلك المقامات الإسلامية المتناثرة في قرى المحافظة.

مسجد محمد الفاتح في صوفين شرق قلقيلية

حديقة حيوانات قلقيلية[29]

تدير بلدية قلقيلية حديقة الحيوانات الوحيدة في فلسطين، تم إنشاؤها عام ١٩٨٦ قرب المدخل الشمالي للمدينة. وتبلغ مساحة الحديقة 35 دونماً مغروسة بالأشجار الخضراء وارفة الظلال. ويوجد في الحديقة أيضاً مدينة ترفيهية للأطفال تشتمل على كافة أنواع ألعاب الأطفال وبركة خاصة للأطفال. ويوجد أماكن خاصة للعائلات بالإضافة لكافتيريا لخدمة الزوار.

وتم اعتماد حديقة الحيوانات في قلقيلية حديقة مركزية للوطن من قبل وزارة السياحة والآثار الفلسطينية. فتؤمها الرحلات المدرسية من كافة أنحاء الوطن ويزورها أيضاً أعداد كبيرة من الفلسطينيين من داخل الخط الأخضر، وتشتمل الحديقة على أقسام عديدة منها:

- المتنزه حيث مناطق خاصة للعائلات.
- المدينة الترفيهية للألعاب الكهربائية.
- البركة المائية والقوارب.
- المتحف التعليمي.
- المركز الطبي الفلسطيني للحياة البرية.
- مناطق الحيوانات المفترسة والتماسيح.
- مناطق الغزلان والقوارض والطيور الجارحة.
- منطقة القرود والأفاعي وفرس النهر.
- بيت الطيور.
- مطعم الحديقة وكافتيريا واسود.

يوجد بالحديقة أيضاً سوبرماركت، كما يتوفر أيضاً مصلى للرجال وأخر للنساء، ويوجد حمامات للرجال وللنساء منتشرة داخل الحديقة.

[29]: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

المراكز الطبية في المدينة[30]

- مستشفى درويش نزال الحكومي.
- مستشفى وكالة الغوث.
- مستشفى الأقصى التخصصي.
- الإغاثة الطبية الفلسطينية.
- مستشفى لجنة زكاة قلقيلية.
- الهلال الأحمر الفلسطيني.
- مركز الخدمات العسكرية.
- المركز الصحي (لجان العمل الصحي).
- مركز الصحة (القديمة).
- مركز الصحة (الجديدة).

بالإضافة إلى العديد من العيادات والمراكز الخاصة الأخرى.

مستشفى درويش نزال الحكومي

[30]: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

الأسواق

يوجد في قلقيلية العديد من الأسواق منها:

سوق أبو عمشة:

يقع هذا السوق في وسط البلد في شارع السبع قرب محطة أبو عمشة للوقود. يوجد في هذا السوق عدة طوابق: الطابق الأول محلات تجارية لبيع الملابس والأحذية ومحلات للصياغة والمجوهرات، والطوابق العلوية عبارة عن مكاتب محاماة وهندسية وعيادات للأطباء.

سوق شاهين:

يقع هذا السوق في وسط البلد منتصف شارع السبع مقابل سوق أبو عمشة، ويحتوي على طابقين: الأول لبيع الأحذية والملابس، الطابق الثاني ينقسم إلى قسمين، قسم مخزن للملابس والآخر مكاتب وفيه محلات قيصر الشبابية.

سوق أبو جابر:

يقع هذا السوق في وسط البلد قرب البلدية في محيط المسجد الكبير المسمى بمسجد السوق، وهو عبارة عن طابقين: الطابق الأول محلات تجارية لبيع الأدوات المنزلية، وبيع اللحوم، وبيع المواد التموينية. الطابق الثاني مكاتب للشركات وأخرى للمحاميين.

سوق بشارة:

يقع هذا السوق وسط البلد مقابل مبنى وزارة الأوقاف، وهو عبارة عن عمارة مكونة من ٤ طوابق: الطابق الأول محلات لبيع الأقمشة والأحذية، وباقي الطوابق عبارة عن مكاتب لوزارات السلطة الوطنية، وهناك مكاتب أخرى وعيادات أطباء. والبيع في هذا السوق بالمفرق.

سوق الخضار:

يقع هذا السوق وسط البلد خلف مقر البلدية مقابل مجمع السيارات سابقاً، وهو عبارة عن محلات تجارية ومخازن أرضية لتجارة الخضراوات والفواكه، والبيع في هذا السوق بالجملة والمفرق. يوجد في هذا السوق بعض المحلات لبيع المواد التموينية واللحوم وبعض محلات الجزارة وغيرها، ولهذا السوق نشاط مميز لأن معظم رواده من داخل الخط الأخضر وخاصة عرب 48.

سوق عثمان:

يقع هذا السوق مقابل البلدية بمحاذاة بنك القاهرة عمان، وهو عبارة عن طابقين: الطابق الأرضي فيه مطعم ومحل لبيع المعجنات، ومحلات تجارية لبيع الأقمشة واستوديو، وفيه محلات لبيع الأحذية. أما الطابق الثاني فهو عبارة عن مكاتب للشركات وأخرى للمحاميين والأطباء.

سوق شاور:

يقع هذا السوق في وسط شارع البلدية مقابل مدرسة الشيماء مقابل الغرفة التجارية، وهو عبارة عن طابقين: الطابق الأرضي عبارة عن مطعم كبير ومحلات لبيع الأقمشة واستوديو وبه محل لبيع الساعات، أما الطابق الثاني فهو مكاتب للشركات ومكاتب محاميين.

سوق الأقصى:

ويقع هذا السوق قرب مسجد السوق، مقابل مجمع السيارات، وهو عبارة عن طابق أرضي ومخازن فيها محلات لبيع الأدوات المنزلية وملحمة ومحلات لبيع المواد التموينية.

سوق المستعمل:

وهو عبارة عن سوق طويل يقع على امتداد شارع نابلس بكلا الاتجاهين. يبدأ من مقر الأمن الوطني شرقاً حتى محطة أبو عمشة للوقود غرباً، بطول يصل إلى ٢ كم. وفيه محلات لبيع الأثاث المستعمل، غرف نوم وغرف سفرة وصالونات وأجهزة كهربائية، مثل الثلاجات والغسالات والتلفزيونات وغيرها.

مجمع أبو بدير التجاري:

يقع هذا السوق في وسط المدينة في منطقة شارع السبع وهو عبارة عن سبعة طوابق، فيه محلات لبيع الملابس والمجوهرات والأحذية ومكاتب للمهندسين وعيادات للأطباء.

مول عزام الجموس: يقع وسط المدينة عند ميدان الشهيد أبو علي إياد.

قلقيلية وسط البلد

الفصل الثامن

نضال سكان قلقيلية والنكبة

منذ أن خضعت فلسطين للانتداب البريطاني اشترك أبناؤها مع باقي إخوتهم الفلسطينيين في معارضة بلفور وممارسات الإنكليز، ضد الشعب الفلسطيني وكانت قلقيلية بحكم مركزها الاستراتيجي مطمعاً لقوات الاحتلال الإسرائيلي ونقمتهم على أهلها الذين تمسكوا بأرضهم ولم يكسب الصهاينة دونماً واحداً رغم الإغراءات لشراء البعض منها؛ إذ اشترك أهلها بكل المظاهرات ضد الانتداب منذ عام 1919م حتى 1948م، وكانت نقمة السلطات العسكرية الصهيونية شديدة على قلقيلية حتى أزالتها عن الوجود كما حدث عام 1967م عندما قام جنود الاحتلال فور دخولهم قلقيلية بتهجير أهلها قسراً، ودمروا أكثر من 70% من بيوت المدينة إلا أن إصرار أهلها على العودة والظروف السياسية في ذلك الوقت حالت دون استكمال تنفيذ هذا المخطط الذي سبق وهدد به موشي دايان عام 1953م عندما صرح قائلاً " سأحرث قلقيلية حرثاً". كما وأخفقت من قبل المحاولات الإسرائيلية لاحتلال البلدة بعد هزيمة 1948م، رغم فقدان المدينة آلاف الدونمات عقب قرار التقسيم وكانت بعض تلك الأراضي في عمق الساحل الفلسطيني. وفي عام 1949م جاءت اتفاقية رودس لتحرم المدينة من آلاف الدونمات الزراعية غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ولم يبق لقلقيلية إلا بعض العشرات من الدونمات السهلية والأراضي الجبلية الجرداء من جهة الشرق.

مذبحة قلقيلية

لقد تنبه أهالي قلقيلية إلى أطماع العدو، وبعد قرار التقسيم عام 1947م شعر السكان بالخطر التوسعي الصهيوني فأخذوا يستعدون للدفاع عن قريتهم، وجمعوا مبالغ كبيرة من المال.

واشتروا السلاح والذخيرة وأصبح في القرية قرابة 1200 مناضل مسلح وتعاونوا بينهم على حراسة أراضيهم، وأسهموا في الدفاع عن القرى المجاورة، وخاضوا معارك كثيرة وكان النصر حليفهم. ومن أهمها معركة قلنسوة وبيار عدس والطيرة وكفر سابا.

وقد شنوا في بعض الحالات هجمات معاكسة على المستعمرات المجاورة التي كانت تطلق منها الاعتداءات مثل (رامات هاكوفيتش).

معارك رامات هاكوفيتش

"رمات هاكوفيتش" واحدة من المستعمرات اليهودية والتي أقيمت قبل عام 1948م. لتشكل حزماً من القلاع العسكرية الاستيطانية المتقدمة، تقع إلى الشمال الغربي من قلقيلية قريباً من طيرة بني صعب، وإلى الجوار منها تقع أيضاً مستعمرة "قلمانيا" وقد أطلق أهالي المنطقة على هذه المستعمرة اسم "كوفيش".

وقد أقيمت هذه المستعمرة على إحدى التلال المنتشرة في هذه المنطقة وجعل منها اليهود منطلقاً لكثير من القرى العربية القريبة، ولهذا اقترن اسمها بأكثر من معركة خاضها المناضلون من أبناء قلقيلية والمنطقة وكان أولاها في 1948/4/6م حيث هاجم المناضلون هذه المستعمرة واستشهد فيها المناضل الكبير الحاج عبد الفتاح محمود خدرج.

وعندما بدأ الهجوم ليلاً تصدى للقوة الغازية ثلاثون مناضلاً وكان هذا العدد ضئيلاً جداً أمام جيش كامل بأسلحته، واضطر المناضلون إلى التراجع التكتيكي فتمكن المهاجمون من احتلال ثلاث تلال إلى الشرق من رمات هاكوفيش.

ولكن المعركة الحقيقة بدأت مع بزوغ فجر اليوم التالي 1949/1/3م حين شن المناضلون مع القوات العراقية المرابطة في المنطقة هجوماً كبيراً، وكانت القوات العراقية تتشكل من "رتل عوف" والذي يضم فوجاً آلياً وفصيلة مدفعية وفصيلة مهندسين.

وقد أخذت هذه القوة العراقية والمناضلون المحليون على عاتقها مسؤولية تحرير المنطقة الممتدة من الطيرة شمالاً إلى قلقيلية جنوباً.

وأدى هذا الهجوم العربي المعاكس إلى استرداد بعض المواقع التي كان البدو احتلوها من قبل، وأخذ طابع القتال يأخذ صورة المناوشات مساء يوم 1949/4/3م من اليوم التالي، فتمكنت خلالها القوات العراقية من وضع خطة عملية للهجوم على رمات هاكوفيش بدأت بتنفيذها فجر يوم 1949/4/7م حيث قامت القوة المهاجمة والمناضلون المتطوعون بغارة على ثلاثة مواقع لليهود من الجهة الجنوبية من جلجوليا حيث كان يرابط فيها لواء "يفتاح"، وبعد ساعة ونصف بدأ المخطط على رمات هاكوفيش والتلال المحيطة بها حيث أمطرت المدفعية المواقع بوابل من قذائفها، واستمر القصف مدة ساعة تقريباً تمكن العراقية وتحت ستار كبير من الدخان من التقدم إلى المواقع التي احتلها اليهود واستردادها كاملة، بل واقتربوا كثيراً من رمات هاكوفيش واحتلال بعض القرى القريبة منها مما ألجأ اليهود إلى تركيز قصفهم على مدينة قلقيلية كما فعلوا في الأيام الأولى للمعركة حيث استشهد بعض الأهالي في بيوتهم نتيجة هذا القصف.

واستمرت القوات العراقية والمناضلون في الاحتفاظ بهذه المواقع حتى اتفاقية رودس في نيسان عام 1949م حيث أمروا بالانسحاب إلى ما وراء هذه الهدنة الجديدة، وكانت هذه المعركة هي آخر معركة خاضها الجيش العراقي في المنطقة مع إخوانهم المناضلين من أبناء المنطقة وقبل انسحابهم كلهم من فلسطين.

ومن أبناء قلقيلية ممن استشهد في المعركة أو نتيجة القصف التالية:

محمد الشيخ حسين صبري	عبد الكريم نمر جابر
محمد أبو شاهين	صبحي الهرش
عبد الرحيم محمود عوينات	محمد حسن مصطفى نوفل
أحمد قاسم موافي	حسني أحمد موافي
سميح صبري عمر	علي محمود طه

وقد تحدث عن هذه المعركة القائد الكبير شاكر محمود شكري فنقل عنه الدباغ في كتابه "بلادنا فلسطين" أن هذه المعركة أثبتت جرأة وإخلاص أهالي قلقيلية وروحهم العالية في المعارك وعلى رأسهم رئيس البلدية عبد الرحيم السبع.

أما عارف العارف فنقل في كتابه "النكبة" عن هذا القائد قوله "غنمنا في هذه المعركة " "معركة رمات ماكوفيش" ثمانية مدافع، وتسعة وعشرين رشاشاً، وأربع قاذفات، وأربعة آلاف طلقة، وكمية من البنادق. وقد عرفت بعض معارك رمات هاكوفيش اللاحقة باسم معركة الحي.

ومن القادة العراقيين البارزين الذين شاركوا في هذه المعركة شاكر محمود شكري آمر القادة والذي قاد المعركة، والقائد نور الدين محمود ونجيب الربيعي.

وقد استشهد في هذه المعركة سبعة عشر، وجرح خمسة وأربعون من أبناء المنطقة، وقتل من اليهود خمسة وسبعون عدا من قتل منهم في اليوم الأول ومن الجنود العراقيين الذين استشهدوا في هذه المعركة:

اسم الشهيد	مدينته
جبار علي	من الحلة
حاجي حمد عمر	من العمادية
خربيط عبود	من العمارة
عزيز عاشور	من محلة صالح
كاظم فنيخ	من البصرة
كريم محمد	من بغداد
محمد حسن شاقولي	من العمارة
محمد خضر	من راندون
مخيبر هارون	من بعقوبة
مقاس صالح	من البصرة
نحيل شميل	من سوق الشيوخ
هادي سبع	من شطرة

ولم تنقطع الاشتباكات بين عرب قلقيلية والقرى القريبة مع العدو الصهيوني ومستعمراته المجاورة بعد التوقيع على اتفاقية رودوس بين الأردن وإسرائيل، بل ازدادت حدة لأن الجيش الصهيوني أخذ يشارك فيها. ولم يكتم الإسرائيليون غضبهم من فشلهم في كسر شوكة سكان القرية حتى أن موشي دايان قال كما ذكرنا عام 1953م.

وفي الساعة التاسعة من مساء 1956/10/10م تسللت إلى القرية مفرزة من الجيش الإسرائيلي تقدر بكتيبة وسبق له أن بدأ بقصف البلدة بالمدفعية قبل اقتحامها، وتم نسف مركز قلقيلية الذي كان تابعاً لجيش الإنقاذ، وراح ضحية المجزرة أكثر من 70 شهيداً.

وفي عام 1952م نجد أن عدد الاعتداءات التي ارتكبها جيش الاحتلال بحق المواطنين العرب في الضفة الغربية بلغ 180 اعتداءً، منها 54 اعتداء قام بها المستوطنون والجنود المرافقون لهم.

وقامت السلطات الصهيونية بعد احتلال الضفة بمنع التجول في عديد من مدن الضفة والقطاع كما واصلت ملاحقة الناشطين إلى جانب الإقامة الجبرية التي فرضتها سلطات الاحتلال عام (1982) 70 أمراً، وقد فرضت الإقامة الجبرية مرتين أو ثلاث مرات على بعض الأشخاص، كما تابعت سلطات الاحتلال تدمير البيوت، إذ بلغ عدد البيوت التي دمرتها بين عامي 1967م- 1982م بحسب الإحصاءات الصهيونية الرسمية 1328 منزلاً. وفي عام 1965م سبق للقوات الصهيونية أن تسللت بعض قواتها في الليل إلى خط الهدنة، وقامت بنسف 12 بئراً ارتوازيًا من خط الهدنة في أراضي قلقيلية.

ولازالت إسرائيل تخطط لضم ما تبقى من الأراضي لمحافظة قلقيلية وبوجود السلطة، بناء الجدار العازل، تمديد شبكات الكهرباء، تحديد شبكة المياه وهناك مشروع جديد، لتطوير شبكة الكهرباء ولا تعرف ما تضم من أراضي لمشروع الغاز.

صور من مجزرة قلقيلية

صور من مجزرة قلقيلية

الفلسطينيون بعد النكبة

تقوم سياسة الصهاينة على أساس تفريغ الأرض الفلسطينية من سكانها وإحلال اليهود محلهم، وركزت دعاياتهم على أن فلسطين خالية من البشر، وعززوها بوعد أسطوري بأرض الميعاد ولا بد من الرجوع إليها أي للشعب الإسرائيلي حتى يعمرها؛ إذ أنها أرض السمن والعسل، وقد جذبت هذه الدعاية الماكرة كل أنحاء الأرض وقد ركزت رئيسة وزراء العدو (جولد مائير) في خطاباتها بقولها:

(إن أرض الميعاد أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض) وقد شاعت هذه الأكذوبة وصدقوها، ولما كان الإنجيل نسخة معدلة للتوراة فإن المسيحيين قد أخذوا بهذا منذ وقت طويل. وأرضها أرض السمن والعسل إذ أغرت زعماء أوروبا ورجال دينها بغزوها؛ فكانت الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن إذ تحررت ورجعت للأمة العربية.

في عام 1977 كنت في بريطانيا في بعثة لليونسكو لمدة ثلاثة أشهر للاطلاع على المناهج الدراسية وحياة الشعب فيها، شاهدت بعض العائلات اليهودية والتي غررت بهم الصهيونية إذ تركوا أعمالهم في مناجم الفحم وذهبوا مع عائلاتهم إلى فلسطين، وسرعان ما شاهدوا المزارعين الفلسطينيين يعملون بكثرة في مزارعهم وشاهدوا بيوتهم وقراهم ومدنهم وبياراتهم وبساتينهم فأسقطوا بحيل وأكاذيب الصهيونية، وصمموا العودة لإنكلترا ولكن السلطات ماطلتهم، فلجؤوا إلى القنصلية البريطانية بالقدس فساعدتهم بالعودة، ويحكون القصة للناس ويحذرون الآخرين من كذب الصهاينة، وهذا مصدر صادق حدث معي وأنا بدوري لن أبخل بما سمعت من مصدر أصلي. ولما زرت بلدان كثيرة وثقافات عديدة فقد لاحظت المغتربين العرب يجهلون بالرد على الأسئلة التي تعرض عليهم والإجابة عليها بموضوعية وصدق. لذلك جمعت ما ينوف عن مئة وثمانية وعشرين سؤالاً يدحض أكاذيب الصهاينة وتزويرهم للحقائق معتمداً على الوثائق والمصادر والبينات. وسميت الكتاب (أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير). ولأهمية الموضوع أقدم للقارئ نموذجاً من كذب الصهاينة والرد:

1– أذاعت الصهيونية وأعلامها بأنها تغلبت على سبعة جيوش عربية في حرب عام 1948 واستغلت إسرائيل ومن ورائها الكذبة وزينوها في دعاياتهم السمعية والمرئية والمكتوبة، ونشروها في كراريسهم وكتبهم وأرشيفاتهم. وقد أرد عليهم بما يلي:

- أن الجيوش العربية كانت عدة جيوش وكل جيش له قائده.
- القائد الأعلى لتلك الجيوش كان (كلوب باشا) وهو بريطاني الأصل عينته بريطانيا عند تأسيس الإمارة الأردنية، والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.
- إن الجيوش السبعة كانت قليلة العدد والتسلح لم يصل مجموعها عن 22 ألفاً وأسلحتها قديمة. وكانت تلك الدول قد استقلت حديثاً من الاستعمار البريطاني والفرنسي.

- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية وكان لديهم32 ألف مقاتل مدربون احتياط.
- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة؛ إذ استغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران، فيما لم يوجد طائرة عربية واحدة تدخل أرض فلسطين.
- إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية، التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً مثل الأسلحة المصرية، وكانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة، والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

إن النقاط التي ذكرتها قليل من كثير ينبغي على الفلسطيني خاصة أن يعرفها ويدافع عن حقه وشعبه وأمته.

2–أما المثال الثاني فهو التزييف التي تمارسه الصهيونية في وسائل إعلامهم في إلغاء الثقافة العربية الفلسطينية والحكاية كالتالي: كان لي ابن عم يعمل بالتربية بالكويت يحمل دكتوراه بالأدب العربي، ومعه جواز سفر أردني لحاجة السفر، وفي عطلة الصيف صمم زيارة أرضه المحتلة عام1969 م، وعند وصوله ذهب ليزور مسقط رأسه بلدة إجزم قضاء حيفا، وهناك الدمار وما لحق بالبلد من تغيير وقد رأى مسجد القرية، ولما دخله شاهد ثلة من السياح مع الدليل وهو يشرح لهم معالم البناء ويقول بالفم المليان هذا بناء صليبي، وقد فهم ابن عمي حديثه واقترب منه قائلاً: هل كان الصليبيون يبنون مساجد إسلامية؟

طبعاً يتكلم معه باللغة الإنكليزية فأجاب: هكذا علمونا وبعدها أخذ المجموعة وأراهم لوحة محفورة على الحجر منحوتة فيه تقول:

جمع البهاء بجامع جمعـــت به أنوار ذكر الله فادخل واحتسب

وانظر لنضرة روضة كم حوت مـن راكع يرجو الثواب ويرتقب

مسـعود شـاد فـاجزلـن ثوابه أرخ صـفاه بسر واسجد واقترب

طبعاً قرأها لهم الدكتور عاهد ما هو مكتوب، وشرح لهم إن الغاية من هذا إلغاء حضارة عرب فلسطين؛ إذ أوضح لهم اسم صاحب البناء، وتاريخ البناء، وقد اعتذر الدليل وقال: "والله أنني تعلمت من المسؤولين ما قلت وأنت على حق وإني اعتذر مرة ثانية ولن أقول سوى

الحق" وهذه الأمثلة تبرهن على حقد الصهيونية ومساعيها لتشويه وإلغاء الشخصية الفلسطينية ولكن الأحداث أثبتت لهم عكس ما يريدون، وأن هذا الشعب الجبار لا تهزه رياح.

ماهي أسطورة الوعد (للأرض الموعودة) وأصولها؟

قامت السيدة فرانسواز سميث بتحقيق دقيق حول أسطورة الوعد في كتابها الأساطير اللا مشروعة وترى:

إن قراءة النصوص المقدسة للشرق الأوسط تكشف لنا عن أن كل الشعوب تلقت فيها وعوداً سببه من آلهتها، تسمح لها فيها بسكنى الأرض بدءاً من بلاد النهرين حتى مصر.

في مصر وعلى مسلة الكرنك التي أقامها تحتمس الثالث 1480- 1475ق.م تجد الإله يصرح "إني أمنحك بقرار هذه الأرض بالطول والعرض، إني جئت وأعطيت الحق في سحق أراضي الغرب".

في القصيدة البابلية لعملية الخلق، نجد أن الإله مردوخ يثبت لكل واحد حصته من الأرض، الحثيون ينشدون لارينا الإلهة الشمسية قائلين "إنك تسهرين على طمأنينة السماوات والأرض وتضعين الحدود للبلاد"، وإن لم يتلق العبريون مثل هذا الوعد فعندئذ يكونون استثناءً غرباء.

قدم الوعد في البداية لجماعات من البدو كانت تطمح إلى الإقامة في مكان ما في مناطق صالحة للسكن، ولم يهدف هذا الوعد إلى الغزو السياسي والعسكري لمنطقة ما أو لبلاد بكاملها. بل الإقامة في أرض محدودة.

إن الوعد الأبوي الذي يتحدث عنه سفر التكوين لم يمنحه Yahwa(يهوه) أي الإله الذي دخل إلى فلسطين مع الفئة المهاجرة بل من إله الكنعانيين (EL). فالإله المحلي وحده مالك الأرض كان يستطيع أن يقدم لبعض القبائل حق الإقامة في الأرض.

بعد أن تجمعت القبائل الرحل التي استقرت في الأرض وضمت إليها قبائل أخرى لتكوين شعب إسرائيل اتخذت الوعود القديمة بعداً جديداً، وبدأ الوعد يتخذ منذ ذلك الحين بعداً سياسياً وعسكرياً وقومياً.

إنه لا مجال لتأييد أولئك الذين يرون من بين المسيحيين أن وعود العهد القديم مبرر شرعي لضم الأراضي الحالية لدولة إسرائيل.

توصل الخبراء إلى أن مواد عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة حمورابي والشرائع القديمة الأخرى. وإن أكثر التراتيل والتسابيح الدينية التي وردت في توراة اليهود مقتبسة من الكنعانية وقد عثر عليها في فينيقيا، ثم ترجمت في وقت لاحق من اللغة الكنعانية الفينيقية إلى العبرية وأدخلت في التوراة[31].

---

[31]: فيليب حتى تاريخ سورية القديم ص 114.

توصل الخبراء إلى أن شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي سبقتها عند الكنعانيين والبابليين والمصريين، وقد اقتبسها اليهود ومارسوها ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة:

- ثبوت كون اليهود دخلاء على فلسطين وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية ومن ضمنها لغتهم وكتابهم المقدس مقتبس من الحضارتين الكنعانية والآرامية، وإن الأسماء الواردة في التوراة سواء كانت أسماء أشخاص أو أسماء أماكن قديمة في فلسطين هي من أصل كنعاني ترجع إلى ما قبل ظهور العبرية بزمن بعيد.
- ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة مكوثهم. واسحق ويعقوب هذا إذا افترضنا أن قوم موسى هم (بنو إسرائيل) حقاً كما سمتهم التوراة.

وهكذا فقد ابتدع مدونو التوراة فكرة منح الرب أرض كنعان إلى إبراهيم وذريته (وإن الرب إلههم يهوه) قد أمرهم بإبادة الكنعانيين هم وأطفالهم وشيوخهم ونساؤهم ليحلوا محلهم. هذا هو الدين الذي جاء به كتبة التوراة ونسبوه إلى إبراهيم ويعقوب وموسى وتحريفهم التوراة فيقول "ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا وباؤوا بغضب من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون". سورة البقرة آية 61.

لقد أرجع بعض الباحثين تاريخ اليهود إلى زمن الأكديين في العراق، في حين أن الأكديين قد ظهروا قبل عصر موسى بأكثر من عام 2500 ق.م، إذ أن الأكديين نزحوا من الجزيرة العربية إلى شواطئ الفرات حوالي 4000 ق.م، أما الموسويون أتباع موسى فإنما ظهروا في القرن الثالث عشر ق.م، كما ربط باحثون آخرون بداية التاريخ اليهودي بزمن إبراهيم الخليل في حين أنهم لم يظهروا إلا بعد إبراهيم بسبعمائة عام، وربط فريق ثالث تاريخ اليهود بزمن الهجرات العربية السامية إلى الهلال الخصيب، لكن هذه الهجرات إنما حدثت قبل وجودهم بنحو ألفي عام.

لقد وقع هؤلاء جميعاً في هذه الأخطاء بسبب إهمالهم ملاحظة التسلسل الزمني الذي تعمد كتبة التوراة إهماله ليسهل عليهم ربط تاريخهم بعهود سبقت وجودهم، فأدخلوا التشويش في ذهن القارئ الذي أصبح تائهاً بين العصور لعدم وجود مراجع أخرى. لكن الشعور الآن اختلف لدى الكتاب المحدثين وحان الوقت للكشف عن صلة الثقافة اليهودية ومن ضمنها الديانة اليهودية بالثقافات السامية القديمة، بعد أن مرت قروناً طويلة والعلماء والمؤرخون يعتمدون التوراة قبل الاكتشافات الأثرية الأخيرة. ومن أهم ما توصلت إليه هذه الاكتشافات المكاسب التاريخية العلمية الآتية:

- تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في المدونات القديمة وفي كتابات التوراة تحديداً إلى جانب أزمانها.

- تعيين تواريخ الحوادث بصورة مضبوطة، بحسب تسلسلها الزمني وتوضيح علاقة الأقوام بعضها ببعض، وتعيين أدوارها وبشكل خاص هجرة الأقوام وتطور ثقافاتها ولغاتها.
- تتبع أزمان الهجرات السامية من جزيرة العرب إلى فلسطين وبلاد الهلال الخصيب قبل ظهور النبي موسى.
- تعيين زمن الحوادث التاريخية الوارد ذكرها في التوراة بالقياس إلى الوقائع الحربية والسلالات الحاكمة في كل عصر من العصور حسب تسلسلها الزمني.
- توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصول قديمة، إذ وجد مثيله أو ما يشابهه في المدونات الأكدية والكنعانية والبابلية والأشورية والمصرية مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة.
- تتردد الأقوال بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وأخذت الصهيونية تضرب على هذا الوتر الكاذب، واستطاعت أن تستميل الكثير من الكتاب والأدباء والمفكرين، هل هذا المفهوم حقيقي؟ وهل ما كتبه المستشرقون والكهنة في كتبهم المقدسة والصهاينة وحلفاءهم في تاريخ اليهود صحيح؟.

لقد كتب كثيرون في تاريخ اليهود وفلسطين حتى أصبحت لدينا آلاف الكتب والمعاجم والقواميس والموسوعات وكلها تبحث في تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة؛ بحيث لا يخرج القارئ المحايد عن الموضوع إلا وقد انطبع في ذهنه أن اليهود هم بناة الحضارة وهم دعاة عقيدة التوحيد، وهم مؤسسو الثقافة العالمية وأنهم أصحاب فلسطين.

إن الكتاب الذين اندفعوا في هذا الاتجاه فريقان. الفريق الأول من رجال الدين اليهود والنصارى والمتعصبين للتوراة وهم الأكثرية. والفريق الثاني يتألف من علماء وكتاب ومنقبي آثار انخرطوا في سلكهم، وكانوا قد أخذوا على عاتقهم تقصّي الحقائق التاريخية. لكن أكثرهم أصبحوا من غير أن يشعروا دعاةً لليهود قبل أن يتوصلوا لأن يكونوا رواد علم وحقائق.

من الثابت أن سكان فلسطين القدماء كانوا كلهم عرباً من العنصر السامي هاجروا من الجزيرة العربية إثر الجفاف الذي حصل بها.

إن علم اللغات المقارن الذي يعتمد عليه العلماء في هذا العصر عند دراسة أصول الأقوام وصلاتها تميز عصر إبراهيم الخليل وأولاده وأحفاده وبين موسى وعهده ثم ما بين الديانة اليهودية.

- عصر إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب إذ يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو عصر عربي وبحث قائم بذاته بلغته وقوميته وديانته وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبلغتها الأم وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة، ولا صلة بعصر موسى الذي يأتي بعد عصر إبراهيم بسبعمائة عام. كما أنه لا صلة له بعصر اليهود الذي يأتي بعد عصر إبراهيم الخليل بحوالي 1500 عام، وقد

كانت القبائل العربية المعروفة بالبائدة آنذاك على قيد الحياة في جزيرتهم في هذا العهد وقد لعبت دوراً مهماً في تنمية الحضارة العربية السامية. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن القبائل الآرامية التي ينتمي إليها إبل إبراهيم تعود إلى أصل واحد، وكانوا ينسبون العرب البائدة إلى إرم ويسمونهم بالأرمن كما جاء في تاريخ (سني الملوك) لحمزة الأصفهاني وقد ربط القرآن ونبه على صلة إبراهيم بالجزيرة العربية وبيت العتيق وليس فلسطين.

لقد أكدت المصادر العربية أن العرب الآراميين (أبناء آرام بن سام) كانوا من العرب العاربة البائدة في معظم مساكنهم في جوف الجزيرة العربية، ومنهم قوم عاد وثمود.

ولم يبقَ من فروعه من يستحق الذكر غير فرع (نبيط بن ماش بن آرام) الذي كان مسكنه في (كوثي) عند بابل الوقعة على نهر كبار الذي يرفد نهر (التراث) قبل التقائه بنهر (رنيا) شرقي غامد بعسير من شبه الجزيرة العربية، ومن هذا الفرع كانت عشيرة إبراهيم الخليل العربية الآرامية.

ولتحقيق ذلك كان لابد من إرجاعهم أصلهم إلى أقدس شخصية قديمة أي شخصية إبراهيم الخليل الذي كان صيته قد عم جميع أرجاء عالمهم في ذلك الزمن. وقد حالفهم النجاح في سرد تاريخهم حسب أهوائهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير في الأدب القديم، وأضفوا عليها صبغة دينية ليضمنوا تقبله من قبل أتباعهم وهكذا أرجعوا تاريخهم إلى إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب(إسرائيل)[32].

ما علاقة النفط العربي بقضية العرب؟ وهل ومشاكلهم تنبع من نقطة النفط؟

1-الصلة التاريخية: منذ العقد الثاني من القرن العشرين وظهور البترول العربي تجارياً برز (المشروع الصهيوني) في الأوساط اليهودية الصهيونية الثي التقت مصالحهم مع مصالح الاستعمار وعلى رأسها بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية ثانياً، والهدف هو وجود وكيل لهم كشرطي في المنطقة يأمنونه ويزود بكل قوة اقتصادية سكانية عسكرية لتأمين النفط اللازم لإدارة مؤسساتها الصناعية والعسكرية، وتوفير المزيد من الدعم للكيانات والبلدان الدائرة في فلكها. وفي مطلع عهد الاستقلال لبعض دول العرب أخذت العلاقة النفطية العربية تتجه نحو خدمة قضية فلسطين؛ إذ أن آمال العرب كانت تعرف الحاجة الماسة للغرب إلى نفط العرب حيث يكون سلاحاً فعالاً يجعل الغرب يطلب ود العرب.

[32]: فيليب حتى تاريخ سورية القديم ص 114.

وأثناء الحرب العالمية الثانية كان الأمل الخجول لدى الرئيس الأميركي روزفلت بالملك عبد العزيز آل سعود عام 1945حيث ذكر الملك لروزفلت بأن تحقيق التطلعات الأميركية النفطية في العالم العربي يمر عبر تحقيق تطلعات عرب فلسطين في وطنهم.

2- **المقررات السرية:** في مؤتمر بلودان بسورية في 1946/6/6 اتخذ المجتمعون قرارين يتصلان بالبترول كان الأول نصه: (العمل على عدم السماح للدولتين بريطانيا والولايات المتحدة) أو لرعاياهما بأي امتياز اقتصادي جديد والثاني نصه: (النظر في إلغاء ما يكون لهما من امتيازات مع البلدان العربية). ولكن مع الأسف، لم يتخذ أي خطوة في تطبيق هذين القرارين. وتعقيباً على ما حصل سمعت من والدي بأن وفداً برئاسة عبد الرحمن باشا أمين جامعة الدول العربية وبصحبة ثلاثة من زعماء فلسطين (معين الماضي عوني عبد الهادي وآخر من آل حماد) وطلبوا من الملك عبد العزيز ألا يوقع مع الشركات البريطانية والأمريكية وتنفيذ مقررات مؤتمر بلودان. وكان الجواب مخيباً للآمال ولحس توقيعه.

3- **العدوان على قناة السويس:** في عام 1956 وعلى أثر العدوان الثلاثي على قناة السويس جسد العرب إدراكهم المتزايد لأهمية النفط العربي في تحريك اقتصاديات الدول الغربية، فقطع الجيش أنابيب النفط الخاصة بشركة نفط العراق IPC التي تنقل النفط العراقي من العراق عبر سورية إلى البحر الأبيض المتوسط، وكان الرد السوري أول انتفاضة نفطية عربية في وجه الغرب خدمة لقضية فلسطين.

4- **حرب عام 1967:** طلبت الحكومة العراقية أن يوقف تصدير النفط كلياً لمدة ثلاثة أشهر عن بريطانيا والولايات المتحدة بعد هجوم إسرائيل في حرب 1967 خدمةً لقضية فلسطين على أن مؤتمر الخرطوم في أيلول عام 1967 قرر العرب بدلاً من ذلك دعم صمود بلدين من بلدان المجابهة هما مصر والأردن واستثنيت سورية التي لم تحضر الاجتماع. وقد تعهدت السعودية والكويت وليبيا بدفع 135 مليون جنيه إسترليني سنوياً لهاتين الدولتين، وهكذا اتخذت الخطوة الأولى في مسيرة استخدام قسم من الموارد المالية النفطية في سبيل الدفاع العربي.

5- **حرب 1973:** استخدم النفط استراتيجياً في مواجهة إسرائيل عبر حجبه عن البلدان الغربية المساندة لإسرائيل، ولم تلعب هذه الإجراءات المحدودة الأثر الإيجابي المطلوب للأسباب التالية:

أ– عدم سيطرة الدول المنتجة للنفط آنذاك على حجم الإنتاج وتسويقه إن هي اتخذت مقدرات النفط بيدها.

ب– كان سعر النفط في الخمسينات والستينات رخيص الثمن لوفرة الإنتاج في ذلك الوقت.

ت– عدم التكتل الفعال لدى الدول العربية المنتجة فيما بينها وضعف عام في أوبك.

ث– عدم نضوج الروح النضالية العربية بشكل عام ضمن إرادة مشتركة للتحرك لمجابهة الاستعمار الغربي في معقليه (النفط وفلسطين).

كيف يستطيع العرب أن يحولوا موارد النفط إلى إدارة ضغط على القوى الخارجية؟

1– دعم المقاومة الفلسطينية في داخل فلسطين وخارجها وأن يكون هذا الدعم متوافقاً مع المتطلبات الهادفة إلى تحرير الأرض المحتلة بيد أبنائها إذ تأخر العرب بأن يعطوا أهل فلسطين زمام أمورهم بدعمهم بكل مقومات القوة باعتبارهم درع العرب وليسوا متسولين، استوعب العرب بأن تدخل الجيوش العربية كان خطأً منذ البداية، وأول من عارض ذلك يومها النقراشي باشا وأصر على مساعدة أهل فلسطين بتحريرها بشرط مساعدتهم وذلك عام1947م.

2– في آب 1967 اجتمع وزراء خارجية العرب والنفط في بغداد حيث دعوا إلى تأميم مصالح النفط الأجنبية ولم يكتب لها النجاح. إن العوامل الإيجابية للتأميم هو سيطرة الدولة المنتجة للنفط على رأسهم الشركات الأجنبية العاملة والتي تقدر بمليارات الدولارات من أجهزة ومعدات. وبالمقابل فإن دول النفط هذه ستحصل بالتالي على أرباح هذه الشركات التي قدرت عام 1971 79% حوالي 4,6مليار دولار باعتبار أن الأرباح هذه تصبح للدولة العربية التي اشترت أسهم الشركات الأجنبية، إذ يمكنها سداد قيمة الأسهم هذه ولم يستغرق السداد أكثر من سنة ونصف وبعدها يمكن للبلد العربية المنتجة هذه التصرف بنفطها واستخدامه لصالحها وصالح فلسطين.

3– في حال تنفيذ التأميم ربما توقف الدول الأجنبية الأرصدة العربية أو تجمدها والمقدرة ب 6300 مليون دولار عام 1971 أو ربما تنفرد دولة وتقوم بعدوان مسلح ضد بلد النفط ليكون عبرة للآخرين، وبالمقابل إذا كانت الدول العربية وإراداتها قوية وموحدة فإن الشركات الأجنبية تحسب ألف حساب في تحديها للعرب، وإذا استبعدنا التأميم للنفط العربي فيمكن استخدام النفط كسلاح بحجب النفط الانتقائي عن (الدول التي تدعم إسرائيل ضد العرب) وإن كانت الولايات المتحدة الأميركية قادرة على تحمل القطيعة فإن الدول الأوروبية الأخرى واليابان تستطيع أن تلعب دوراً في الضغط على أمريكا بتعديل سياساتها إزاء قضية فلسطين تبديلاً جذرياً.

4– إن السيطرة غير المباشرة على مستوردي النفط العربي بعد أن تشتري الدولة المنتجة نسبة أكبر من أسهم الشركات التي تعمل داخل البلد وخارجه عندئذ تسيطر السياسة النفطية على الشركات بالمعنى التجاري والسياسي وممارسة الضغط على سياسة الدول الداعمة لإسرائيل بحيث يقوى نفوذ الأعضاء العرب في مجالس الشركات المذكورة.

5– قيام دول النفط العربي باستيراد أجزاء من مساحة الامتياز النفطية بواسطة تشريع من أجل الاستثمار المباشر بالتعاون مع فرقاء غير غربيين لقاء عمولة محددة كوسيلة ضغط سياسي على البلدان الغربية الداعمة لإسرائيل.

6– تقنين إنتاج النفط العربي بالإيعاز للعمال العرب العاملين في الشركات بالتباطؤ في الإنتاج وفي تحميل ناقلات النفط لإشعار البلدان الغربية بقوة حكومات بلدان النفط المدعومة بشعوبها وتصميمها على ممارسة الضغط السياسي لصالح القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة، والمهم أن يقتنع الغرب بأن العرب صادقون هذه المرة ومستعدون لمجابهة المخاطر والتحديات التي استهتروا بها بالعرب. وينبغي الاستناد على الأساليب التالية:

التضامن التام للفرقاء المسند إليهم التطبيق والتنفيذ بسرية تامة قبل التطبيق إذ أن تطبيق المجابهة له حدان وأن يرافقه بالتالي القبول بكل التبعات التي تترتب على المجابهة فقد سبق للمرحوم الملك فيصل أن حذر بقوله: (إذا كان النفط مصدراً لإذلال العرب فإنه مستعد لإحراقه ولو أدى بنا الجوع للخيام).

إن تصمم الدول العربية المنتجة للنفط والمعنية في حجب النفط على مستوى الحسم ولا تميل إلى المساومة أو المشاركة العاطفية التي يستغلها الاستعمار عادة على العرب؛ لأن مثل هذه المساومات ستفشل ويتحول الضغط والتهديد إلى مهزلة لتفضح أصحابها وما أكثر ما رأينا.

أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير

لقد استغل الصهاينة أبشع الأساليب غير الإنسانية في محاولاتهم التخلص من العرب وإجبارهم على الرحيل عن ديارهم، ونتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة لفلسطين. وتم تدمير 385 قرية عربية وأزالتها من خريطة فلسطين وذلك عام 1948م.

وبعد عام 1967م وفي هذا العام استولى الجيش الإسرائيلي على كامل أرض سيناء والجولان، وقد اتخذ هذا الاضطهاد والتخريب كرد فعل لما فعله الأوربيون وبشكل خاص في ألمانيا. وقد اتخذ هذا الإجراء أشكالاً عديدة منها:

- تغيير الحركة بالنسبة للمواطنين العرب.
- استمرار الحكم العسكري في المناطق العربية المحتلة.
- تخريب المقدسات المسيحية والإسلامية، إذ تم عام 1948م تدمير أكثر من 350 مسجداً وكنيسة.
- نسف المدن الصغيرة والقرى.

- إتلاف الأشجار المثمرة من الفواكه والزيتون.
- بيع محصولات وغلال العرب بيعاً إجبارياً لحكومة الكيان بأسعار مخفضة.
- اغتصاب الأراضي.
- سن القوانين الضارة بالعرب.
- القروض الإجبارية، وهي مبالغ مالية بفوائد عالية تقدمها سلطة الاحتلال للمزارع لزراعة بعض المحاصيل التي يحتاجها المحتل في الصناعة وغيرها.

تعرض المواطنين العرب لغارات الجيش الصهيوني تحت حجج يختلقها، وقد سنت حكومة الاحتلال الصهيوني عشرات القوانين بغرض الاستيلاء على الأرض العربية من المواطنين حسب الأساليب التالية:

1- أراضي مناطق الحدود: بدأت أولى عمليات اغتصاب الأراضي تحت قانون 1949م، إذ أصدر الكنيست قراراً بمصادرة الأراضي العربية في مناطق حدودية وتبلغ نسبتها 80% وهي مناطق الجليل والمثلث والنقب بحجة الطوارئ والأمن.

2- قانون أراضي البور: إذ يحذر وزير الزراعة صاحب الأرض أن يزرعها خلال مدة معينة وإلا انتقلت ملكيتها إلى المزارعين اليهود. ولما كانت الأحكام العسكرية تحد من تنقلات أصحاب الأرض إلا بتصاريح فكانت التصاريح تجمد وتضيع الأرض إذا لم يستطع أصحابها زراعتها.

3- قانون أملاك الغائبين: صدرت هذه القوانين عام 1950م إذ تعتبر كل مواطن عربي انتقل من قريته إلى قرية أخرى تحت هذا القانون مثل أراضي آل العبوشي والمصاروة، سكان بلدة الحرم (سيدنا علي) إذ أسكنوهم في الطيبة، وقد سكنت وأنا في طفولتي في مزرعة زوج خالتي أم عصام مصاروة ووالده عبد المعز إذ كانت المزرعة تعج بأشجار الحمضيات والفواكه، وفي وسطها الفيلا وهي قصر مشيد حقاً. إذ كنت مولع بأكل قصب السكر الذي كانوا يزرعونه بالفستق السوداني الذي اتسعت زراعته في أواسط الأربعينات.

4- الاستيلاء لأغراض عسكرية: في عام 1952م أصدرت حكومة الاحتلال الصهيوني قانوناً يجيز مصادرة الأراضي اللازمة للمشروعات العسكرية، وإنشاء مستعمرات بشرط أن تكون قد استعملت لهذه الأغراض خلال عام 1948م. وأعطى الوزير المختص سلطة مطلقة في إعطاء الشهادات بأن الأرض كانت تستخدم لأغراض عسكرية.

أما عن ألوان اضطهاد المواطنين العرب في فلسطين المحتلة قبل عام 1967م نعطي بعض النماذج وما أكثرها:

نسف القرى العربية إذ قام الصهاينة بتنفيذ خطة تقوم على أساس نسف القرى وتدميرها وهدم أبنية في المدن إمعاناً في التضييق على المواطنين العرب وحملهم على ترك البلاد نذكر منها:

- نسف بيوت قرية أقرت العربية القريبة من الحدود اللبنانية بتاريخ 1951/12/25.
- هدم الصهاينة قرية كفر برعم العربية من الحدود اللبنانية في 1953/9/16م.
- دمر الصهاينة قرية الريحانية في شهر أيلول عام 1953م ثم طردوا أهلها عبر الحدود السورية.
- صُدِرَتْ أراضي قريتي أقرت وكفر برعم بموجب قانون التملك للأراضي الذي أقره الكنيست في 1953/2/30م، واستحلت السلطات الإسرائيلية أراضي أقرت في 1953/9/3م.
- طردت سكان قرية الجلمة غرب منطقة جنين من أراضيهم واحتلها الصهاينة كما قامت بترحيل بدو النقب.

وقد أصدرت السلطات الإسرائيلية في عهد حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي استهدفت التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من مدنهم وقراهم[33]:

1- **قانون كتساف (kolsow) لعام 1979**: يقضي هذا القانون بمنع شركتي الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السلطات المحلية غير قانونية، والتي اضطر أصحابها إلى إقامتها بسبب زيادة عدد السكان، وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى، وقد تضمن هذا القانون حوالي عشرين ألف مواطن عربي وستة آلاف منزل خاصة وقد طبق بأثر رجعي.

2- **قانون كتساف للتحسينات**: ينص هذا القانون بفرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين مقابل تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

3- **قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة**: يؤدي هذا القانون إلى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ عهد الانتداب البريطاني وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء عن الأراضي، وتم مصادرة 150 ألف دونم من أراضي 17 قرية من قرى الجليل، وقد صدرت هذه القوانين في 1982/1/7م، وقد ضمت هذه الأراضي المصادرة إلى المجلس الإقليمي للمستعمرات الصهيونية في المنطقة (مشاف).

---

[33]: الموسوعة الفلسطينية، مجلد خاص، ص 346 حسن عبد القادر.

4- تحديد حرية الانتقال: استعملت السلطات العسكرية فرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن؛ إذ تحولت هذه المناطق إلى سجن كبير يحظر الخروج منه أو الدخول إليه إلا بتصريح من الحاكم العسكري الذي كان يرفض منح هذه التصاريح حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.

5- تحديد أسعار خاصة بالمحاصيل الزراعية: إذ قدرت سلطات الاحتلال على المواطنين العرب التصرف بمحاصيلهم الزراعية وفرضت عليهم تقديمها إلى شركة يهودية. ففي خريف 1952م استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.

الفصل التاسع

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب، وإحلال يهود العالم محلهم والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2/أكتوبر/1917م، الذي ينص منح الصهاينة وطن قومي لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب، وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية وعملت كل المستحيلات في تنفيذه، رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابه بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948 أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية؛ مثل ميناء حيفا، ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية، مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها. كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات، وسجون، ومراكز الأمن، ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ)، إلى جاب الهجرة الصهيونية التي تم في عهد انتدابها؛ إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000نسمةً. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين، وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها، وتعد بآلاف والسجون والمعتقلات والتشريد، وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين.

1- مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة عام 1947/12/31

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب، ووصل الخبر إلى العمال في الداخل ثار العمال العرب، وأكثرهم من قريتي حواسة وبلد الشيخ هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً فرموها بالقنابل اليدوية، وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2- مذبحة قرية سعسع قضاء صفد في 1948/2/14

شنت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها وأسفر الهجوم عن 60 نسمةً معظمهم من النساء والأطفال وقد تماهى العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3- مذبحة رحوفوت في 27/2/ 1948 قرب حيفا

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحبوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً، وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4- مذبحة كفر حسينية في 13/5/ 1948

قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية، وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5- مذبحة بنيا ميناه في 1948/5/27

لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران أولهما تم في 5/27 /1948 ، واسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً، وجرح أكثر من 61 آخرين، وتمت العملية الثانية في 5/31 /1948 حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

6- مذبحة دير ياسين في 1948/4/9

مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناجيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد، والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً، وتم الهجوم باتفاق كسبق مع منظمة الهاجاناه وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي

القرية، معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً هي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها، والسيطرة على فلسطين العربية وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب، وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7- مذبحة الطنطورة في 22/5/ 1948

هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الإكسندروني ليلاً قرية الطنطورة، واحتلتها بعد ساعات، وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور، وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته والتي خصها في المذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء، وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8- مذبحة قرية الدوايمة في 1948/10/29

هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشي ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل، وقتلوا كل من صادفهم من السكان ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقتل منهم 75 رجلاً كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات، وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب وقد جرى اقتناصهم وقتلهم. كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة حداشوت الإسرائيلية تحقيقاً عنها، وقد أقام الصهاينة مستعمرة "أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.

9- مذبحة يازور قرب يافا في كانون أول عام 1947

تقع القرية على مفترق طرق تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية، كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً إلى قائد البالماخ بيجان آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية، تتضمن نسف وإحراق المنازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22/كانون الثاني/ 1949 أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة، وتولى إسحق رابين عمليات البا لماخ فهاجم القرية فجر ذلك اليوم، ونسفت قواته العديد من المنازل والمباني

منها مصنع الثلج. وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام، وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة، كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10- مذبحة شرفات في 1951/2/7

في الثالثة من صبيحة يوم 1951/2/7 وصلت سيارات قادمة من القدس، وعلى ثلاثة كيلو مترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة، توقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً، واجتازوا خط الهدنة، وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة، وأحاطوا ببيت المختار، ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانها ونسفوها بمن فيها، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى وثلاث نساء، وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11- مذبحة بيت لحم في 1952/1/26

وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح الطوائف الشرقية قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته، وطفلان وجرح طفلان آخران من العائلة.

12- مذبحة قرية قلمة في 1953/1/29

هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية حيث دكت القرية بمدافع الهاون، فهدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.

13- مذبحة قلقيلية في 1953/8/28

حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية حتى أن موشي ديان صرح بقوله "سأحرث قلقيلية حرثاً"، وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953 تسللت إلى قلقيلية مفرزة الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة، وكتيبة مدرعات، تساندها مدفعية ميدان، ونحو عشر طائرات مقاتلة, فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف، وزرعت بعض الألغام في الطرق في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من

المستوطنات القريبة، وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة, لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته, وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، وأحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله، وقد استغل العدو هذه الظاهرة فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها، وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلوه، ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت. وقتل كل من يصادفهم في الطريق وكان حصيلة المذبحة الغير متكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني والقريبة من القرية واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق فتكبد بعض الخسائر، وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14- مذبحة قبيبة في 15/ 10/1953

في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "آرييل شارون" ونائبه شالوم والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956. وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953م، بلغت ذروتها في مذبحة "قبيبة" القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية، وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقامي لمقتل امرأة يهودية مع طفلها، كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية، إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قبيبة عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً، ومسجداً، وخزان مياه القرية، وقد أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتعد مجزرة قبيبة علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية، والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة، وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15- مذبحة دير أيوب في 1954/5/29

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثاني عشرة, وعند وصولهم إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهم بعض الجنود الصهاينة، وهربت طفلة فأطلقوا عليها النار، وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلتين إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة، وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة، وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نقلت إليه.

16- مذبحة نحالين في 1954/5/29

قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 من اجتياز خط الهدنة، وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين، بالقرب من بيت لحم، حيث ألقيت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية، وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها، وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17- مذبحة كفر قاسم 29/أكتوبر 1956

في 1956/10/29 وعشية العدوان الثلاثي على مصر، تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية، وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساءً، وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة أولئك الذين يعملون خارجها، وهو ما نبه إليه مختار القرية حينها إلى قائد القوة الإسرائيلية. كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية بقوله: الأفضل أن يكون هناك قتل لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف) وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة شالوم، فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين ولقي مصرعه, كما قتلت مجموعة منهم 2 امرأة كن عائدات من جمع الزيتون، وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي، وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة. وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال شلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية!

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين إلى أن اضطرت إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام، وتغطية على الجريمة أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهم على رأسهم العقيد شدمي، وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشي حاييم، بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً، وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً، في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات، وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً حيث أصدر إسحاق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين[34].

[34]: كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية إنترنيت).

الفصل العاشر

ثقافة المقاومة السلمية

اتحدت الفصائل الفلسطينية للمقاومة، شكلت تجمعاً للسينما سمته (جماعة السينما الفلسطينية)، وعوامل حل القضية في عام١٩٧٢ قد ركزت على صناعة السينما الفلسطينية تأسيس أرشيف تذيع الأفلام المنتجة، كان باكرة أعمالها فيلم (مشاهد من الاحتلال في غزة) إذ يتحدث الفيلم عن الإرهاب[1] الممارس بحق المواطنين الفلسطينيين في غزة، لكن مع الأسف لقد فشلت هذه المجموعة من النجاح؛ لإهمال المسؤولين في القيادات هذا السلاح، وعدم تحمسهم له. في عام 1952 زاد عدد الأفلام الفلسطينية وكان عددها 50 فيلماً، حاز بعضها على جائز هامة في مهرجان السينما الدولي. من البديهي القول إن المضاعفات الرئيسة لهذه الأفلام البارزة التي وظفها المنتجون السينمائيون في أفلامهم الجديدة مثل (تل الزعتر) إخراج مصطفى أبو على عام 1977، فيلم (عدوان صهيوني) لنفس المخرج عام 1973. ثم فيلم الانتفاضة من إخراج رفيق النجار عام 1974. من التجارب الهامة في مسيرة السينما الفلسطينية تجربة فيلمي (يوم الأرض، وطن الأسلاك الشائكة) هما الفيلمان اللذان يقدمان لأول مرة مادة من داخل الأرض المحتلة مصدراً خصيصاً من قبل سينمائيين مناضلين من أوروبا لتعذر دخل سينمائيين عرب في ظل الاحتلال.

هناك عوامل كثيرة أعاقت النشاط السينمائي الفلسطيني في الأرض المحتلة عام1948م، منها عوامل اقتصادية، وعوامل سياسية. إلى أن جاءت الأنباء في تجربة سينمائية للمخرج مشيل خليفي الفلسطيني، هو فيلم صور من ذكريات خصبة عام 1980م، عرض هذا الفيلم أثار ضجة في الأوساط السينمائية العالمية، الفنان هو من مدينة الناصرة، درس السينما في بروكسل (بلجيكا)، وقد أقدم بعد تخرجه على مغامرة إخراج فيلم كإنتاج مشترك بين شركته الخاصة التي أسسها في بروكسل التلفزيون البلجيكي, وقد تم تصوير مشاهد هذا الفيلم هو فيلم تسجيلي طويل في الأرض المحتلة عام 1948 في أراضي الضفة الغربية المحتلة عام 1967 بالذات في الناصرة رام الله نابلس في عام 1985 عاد ميشيل خليفي من جديد إلى أرض فلسطين ليصدر فيلمه الوثائقي (معلول تحتفل بدمارها). في أم الفحم بالذات تم إنتاج فيلم (نداء الجذور) بمساعدة الجمعية الثقافية تم التصوير بواسطة الكاميرا التلفزيونية، يتلخص الهدف الأساسي لهذا الفيلم في تفنيد المزاعم الصهيونية؛ حول أن الشعب الفلسطيني ليس له تاريخ أو ثقافة.

يؤكد المخرج على النتاج الحضاري للشعب الفلسطيني من خلال تصويره للآثار العربية الإسلامية في فلسطين المحتلة. لقد أصبحت أم الفحم مركزاً ثقافياً، لعب 1948 في عام 1960 تأسس فيها المجلس المحلي برئاسة الشيخ توفيق عسلية في عام 1985م، وأصبحت مدينة يرأسها هاشم محاميد، كما يرأس بلديتها اليوم للمرة الثانية الشيخ خالد إغبارية.

تعرف الصورة النمطية لمدينة أم الفحم لدى السلطة الصهيونية بأنها المدينة العربية الأكثر تطرفاً بسبب صمودها، واحتفاظ أهلها بوطنيتهم، وبغضهم الشديد للاحتلال الإسرائيلي، لهذا تحول سلطات العدو أرضيها إلى السلطة الوطنية الفلسطينية. يقام فيها بالعادة مهرجان المسجد الأقصى في خطر، ويحضره آلاف من العرب الفلسطينيين كل عام. لقد أصبحت ولادة الناصرة من أهم تجمعات عرب عام 1948م.

إن الطفرة العلمية والتكنولوجية تطغيان في حياة السكان في كل مجالاتها كما هو حاصل في دول الشتات؛ إذ يعتبر أبناء الشعب الفلسطيني من أكثر شعب العالم الثالث يبغي العلم والتعلم. ليعوض ما خسره من أرض وعقار ووطن، ويتجلى بالتجارة و الصناعة، وتوسيع معارفه، واستخدام خبراته فهو يعيش التحدي المزمن من التحديات يخلقن الأعاجيب. إننا نرى هذا الشعب الجبار يلملم طاقته، ويسعى إلى أن يكون في حلق الصهيونية، ويعكر حياتها، وينخر جسدها حتى الموت. ومن المسرحيات عدد لا بأس به من الكتاب الفلسطينيين أقدمهم: إميل حبيبي في مسرحية المأساة في (لكع بن لكع)، إذ أصدر الرائي اللامع حكاية مسرحيته سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948حتى آخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن لبنان معاهدة كامب ديفيد في ثلاثة فصول، ثلاثة جلسات أمام صندوق العجائب، إن حكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن.

لقد نشطت المسرحيات وتطورت في قرى الجليل أهمها فرقة (بلالين) التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. قد كانت أبرز العروض لها (ياسين الأعرج) لناظم حكمت تجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياته إخراجها لا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي. وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد الأغاني ذات الصلة التي تخدم الأهداف الوطنية العامة والتي يريدون تحقيقها، أصبحت تلك الأناشيد مشهورة، تطبع على الأسطوانات، تباع في الأسواق، توزع على كل أنحاء فلسطين.

لقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) مدى تطورها، وما قدمته من رقصات شعبية تجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان، قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، في 1975/4/28

شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً (مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (بلا- لين) دبابيس كشكل كان قد سبقه المهرجان المسرحي الألفي البيرة أيلول /1973م، أتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أب رميلة، فوزي السكري، آصف ضاهر[3]، إيليا الشملي، نجوى قعوار فرح. قد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أرقى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، تعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادةً سامح العبشي، أ. فرانسا أبو سالم، المسرحيات التي لـ (بلالين)هي قطعة حياة العتمة، نشرة احال الج الكنز، تع تخرفك يا صاحبي. يرى محمد شقير أن أبرز القضايا المضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

- انتقاد التخلف الاجتماعي.
- تسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية متخلفة، مثل (قطعة حياة العتمة) وفي مجموعة غسان كنفاني عالم ليس منا 1965م تطغى موضوع المنفى بشكل بارز. فقصة "جدران من الحديد" صورة شعر به لطائر ينتفض في قفصه دون انقطاع إلى أن يحتضر في سجن، ولكن النهاية غامضة هل يموت الطائر لأنه استنفذ قواه، أم هل يموت لأنه توقف عن الانتفاض. ومن قصصه مجموعة عن الرجال والبنادق، اتصال بين الحاضر والماضي، وتتمثل في العلاقة بين الآباء والأبناء فمفتاح المنزل القديم في الوطن السليب يشبه الفأس، وفي المنفى يكشف (الصغير) هويته، ويتحسس جذوره، ويكتشف الهوية معادل لحمل السلاح. وهذه هي المواضيع عن الرجال، والبنادق، والمخيم، والمعاناة، والشعور، والوعي بالمواجهة عبر الكفاح المسلح.وفي عام 1968م أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة عن الرجال والبنادق، والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949م، وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني.

وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول: في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة. القسم الثاني: أربع قصص قصيرة أخرى تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء، ونضاله المسلح ضد الغزاة. ويرقم الكاتب القصص من (1) إلى (9) معتبراً إياها أجزاء متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات من القرن العشرين.

وقد ظهر في الناصرة مجموعة توفيق فياض (الشارع الأصفر)، تعبر عن هموم الفلسطيني اليومية والنفسية والحياتية بأسلوب مشحون بالعاطفة، وتجاوز هذه المجموعة طابع السرد لتصل إلى نوع جديد من التركيب الحديث مع تضمين القصة عدة أبعاد واقعية ورمزية، وتمتزج بين الوطن والتراث، فنكسب مضمونها الكفاحي والرمزي دون أن يهمل القضايا الاجتماعية اليومية، أو ترتبط قصص المجموعة بالصراع السياسي-الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير، بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمنهم، فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام، وجريح بيروت، وعنترة العبسي، وصلاح الدين الأيوبي، ومملكة أورشليم، وطارق بن زياد، وفتح الأندلس. وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي وهما: خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924-1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل، أما الثاني: فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب وذلك بين عامي 1927-1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض، وفرقة رمسيس، وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين: فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية، منها: جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة إسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية، وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1م، وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة، وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي، رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع، وشجع فرقة (الحوزي) أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية، وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد، وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن روادكُتَّابْ المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م، كان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م، وله مجموعتان "ذكاء القاضي"، و"العدل أساس الملك"، أو "لن أبيع أرضي"، و"عيد الجلاء"، و" فلسطين لن ننساك"، وفي عام 1934م قام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة، وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار- غرام الميت- قبلة المحبة- صراع بين العلم والإيمان....الخ".

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية، ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا، وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية:

- "وطن الشهيد" عام 1947م.
- "شيخ الأندلس" 1949م.
- "حرب القادسية" 1951م.
- "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م، وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبى عدداً من المسرحيات عام 1938م، ومثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي "نساء وأسرار"، و" صبر وفرج"، و" قيصر روسيا ومصرعه"، و"أصل شجرة الميلاد".

وكتب غسان كنفاني من المسرحيات الباب، والبئي، وجسر إلى الأبد وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي، وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال

كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت الفرق المسرحية إلى نوعين من الرقابة، فرقة تعمل داخل الخط الأخضر، وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول إلقاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية. (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية " أنا راجع يما" لمسرح آذار، ومسرحية "رجال في الشمس"، (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو. ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين، ومسرحية (الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة. كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر، ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967م، وقد قدمت الكثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس- بنادق السيدة كرام- الملك هو الملك- والحضيض-الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6,7و8 /1982/9م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي" وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون، ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم. ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج، والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية؛ وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية، كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولايزال على مرأى وسمع العالم كله.

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) ل ناظم حكمت، وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة التي تخدم الأهداف الوطنية

العامة التي يريدون تحقيقها، وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين. وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية، وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت على إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين، (وبلا–لين)، ودبابيس، وكشكول، وكان قد سبقت المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973 م، وأتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميلة، وفوزي السكري، وواصف ضاهر، وإيليا الشوملي، ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي، أو فرانسوا أبو سالم، والمسرحيات التي ل (بلالين)هي قطعة حياة، والعتمة، ونشرة أحوال الجو، والكنز تع تخرفك يا صاحبي. ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة: مثل (قطعة حياة) و(العتمة).
2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني، وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4) إبراز أهمية الأرض، وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها، ثم صيانتها من طمع الغرباء والغزاة (الكنز).
5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال، وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).
6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخيرات المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 م، إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدرس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً، وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح، ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها، ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم بستان (بلالين)؛ وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت النظر نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973م؛ إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة ، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع) فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية لكع بن لكع راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب، وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها، فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة، ويصدر حبيبي مسرحية بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها "لا تقوم الساعة حتى يتولى أمور الناس لكع بن لكع"، واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط، ودنو نصر الشعب، والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً)، فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال، والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم .. وأقول أفديكم.. فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم.. تروعهم وتخريب اقتصادهم وسلبهم كل ما يملكون من وجود وما ادخروا عبر القرون. وفي عام 1968م أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة عن الرجال والبنادق، والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949م وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني. وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة، القسم الثاني أربع قصص قصيرة أخرى تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء، ونضاله المسلح ضد الغزاة. ويرقم الكاتب القصص من (1) إلى (9) معتبراً إياها أجزاء متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات من القرن العشرين.

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين، مثل مسرحيات موليير، وكورني، وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام، وجريح بيروت، وعنترة العبسي، وصلاح الدين الأيوبي، ومملكة أورشليم، وطارق بن زياد وفتح الأندلس، وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي؛ وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924- 1928 م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل. أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية، وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب وذلك بين عامي 1927- 1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض، وفرقة رمسيس، وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس، وألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها: جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة إسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1م وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة، وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي)

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية، وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م.

وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م وله مجموعتان "ذكاء القاضي" و"العدل أساس الملك"، أو" لن أبيع أرضي"، و"عيد الجلاء"، و" فلسطين لن ننساك"، وفي عام 1934م قام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت إستيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة وكان يعلم اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار- غرام الميت- قبلة المحبة- صراع بين العلم والإيمان....الخ."

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية، ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية:

"وطن الشهيد" عام 1947م، "شيخ الأندلس" 1949م، "حرب القادسية" 1951م، "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، " أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة وهي "نساء وأسرار"، و" صبر وفرج"، " قيصر روسيا ومصرعه"، "أصل شجرة الميلاد".

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية نوعين من الرقابة فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى

في خارج خط الجدار (الضفة الغربية) خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية " أنا راجع يما" لمسرح آذار ومسرحية "رجال في الشمس" (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح ، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية(الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967م وقد قدمت ا لكثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس–بنادق السيدة كرام–الملك هو الملك–والحضيض–الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6,7و8 /9/ 1982م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي"، وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين، وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا)، ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية؛ وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل، ولايزال على مرأى وسمع العالم كله.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والأغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت النظر نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير

التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

ومع ذلك ظل هذا الشعب الجبار صامداً لا تهزه العواصف والنكبات، يعتمد على مكونات التقدم والحضارة وعلى رأسها طلب العلم والمعرفة، حتى قضى على الأمية، وأصبح شعبنا في طلائع الشعوب العربية انفتاحاً وتطوراً، وقد ساعدته الغربة في تجدد معارفه وخبراته، وتألق البعض منهم في السياسة والاقتصاد. ومنهم من استلم مراكز دولية وإقليمية عالمية. مثلاً كشف أن المؤسسة الاسرائيلية تخضع للمعارضة والمواجهة والمقاومة أكثر مما تستجيب للمسالمة والتفاؤل أو الإيجابية.

التمثيل والسينما:

لقد كان الفلسطينيون من أوائل من بنى الأستوديوهات في البلاد العربية، وقد قصرت الدعاية في إعطائهم حقهم، وإليك عزيزي القارئ نبذة عن نشاط أسرة لاما من منطقة بيت لحم من نشاطات تصوير أفلام واستيديوهات وأفلام:

الفنانين والممثلين الفلسطينيين الأوائل: قام السيد عبد الله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850م، وانجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم وبدر"وقد تعلم إبراهيم وأخوه بدر فن التمثيل والكتابة والإخراج وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين، ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك، وسافرا ولما أبحرا في باخرة قاصدين مصر أولاً، ولدى اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية فنزلا إلى المدينة للعلاج.

فاستأجرا بيتاًلا فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية فأسسا شركة "كوندور فيلم "عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية، وهو(قبلة لأفلام والفنانين السينمائيين).

في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وإبراهيم لاما اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي، وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية، وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين، وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) ولد بتشيلي في 1907/4/23 م.

وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية، ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة، ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب بدر توجها إلى الإسكندرية للاستشفاء، وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً، وعملا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج. ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى كوندر فيلم. وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947 م، أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه، وبعد وفاة بدر: اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر، فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948, والممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949م، والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951م، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم(القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات استوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام. وتوالت النكبات على العائلة، ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة 12 مايو 1953. وتراكمت الضرائب على الاستديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر، وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي، ومحسن سرحان، وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبدالله إبراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش)(الماضي قاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي).

أهم افلامهم السينمائية:

- قبلة الصحراء 1927
- معروف البدوي1935
- فاجعة فوق الهرم 1928
- الهارب 1936
- معجزة الحب 1931
- عز الطلب 1937
- شيخ الماضي 1934

- نفوس حائرة 1938
- الكنز المفقود(قيس وليلى) 1939
- عريس الهنا 1944
- رجل دين بين امرأتين 1940
- البيه المزيف 1945
- البدوية الحسناء 1947
- ابن الصحراء 1942
- صلاح الدين الأيوبي

إبراهيم لاما:

سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء) إذ عرض في سينما "الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية بعدما قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم)عام 1928م، بطولة بدر لاما، وفاطمة رشدي، ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان، وكينيا، وأحراشها ليصورفيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948م، والقافلة تسير عام 1951م.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل" فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق. بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الاستديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات استديوهات لاما من أشرطة الأفلام، وتوالت النكبات، وتراكمت الضرائب على الاستوديوهات، ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة. ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته مما جعل إبراهيم يقتل زوجته بمسدسه ثم انتحر.

الفصل الحادي عشر

انتفاضات الشعب الفلسطيني

الانتفاضة الأولى والثانية

في يوم الأرض 30 آذار الموافق عام 1976 شارك أبناء فلسطين في إضراب عام، تظافرت فيه كل الفعاليات، وأطلق عليه يوم المساواة(السلام). وقد نظمته المناطق المحتلة عام 1948 ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب إسرائيل، وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي، وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيين بعدم استفزاز سلطات الاحتلال؛ إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل، ومؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا، وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبراً شائعاً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، فأضرب العرب في إسرائيل إضراباً شاملاً، وأطلقوا على إضرابهم هذا (يوم السكن)، وقد ازادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948.

وفي حزيران عام 1967 احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم، وطردت مئات العائلات وحرمتهم العودة إلى منازلهم (الموسوعة الفلسطينية مج6 ص 495)

الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9آذار 1987إذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز؛ حيث أطلق الجنود النار في جباليا فاستشهد شخصان، وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال، وفرض منع التجول على المخيم، ومن أحيائها تطاير الشرر، وعمت الانتفاضة كل القطاع ثم امتدت إلى الضفة الغربية. وإزاء المشهد اليومي هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً، وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلاً منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة.

وابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد، وقرع أجراس الكنائس، وهذا تقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد، ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة

والقطاع تهتف للجهاد في سبيل إحياء فلسطين، كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً إلى صحراء النقب، وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية.

واستمراراً للانتفاضة وفي ذكرى معركة الكرامة في 21 آذار، رفعت أعلام فلسطين وأقيمت المتاريس في ظل إضراب شامل مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية، وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فرض عليهما منذ تسعة أيام، وقد تمكنت المجموعات المقاومة من وضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية، وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من ملاحقة واعتقالات (الحوت و نويهض الموسوعة الفلسطينية مج6 ص1008)، وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا (1162) شهيداً بينهم حوالي 241طفلاً، ونحو 90 ألف جريحاً ومصاباً، و15 ألف معتقلاً، وتدمير 1228 منزلاً، واقتلاع 140 ألف شجرةً من الحقول والمزارع الفلسطينية. كما تم اعتقال 60ألف أسيراً من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل، بالإضافة الى الأسرى العرب. ولاستيعاب هذا العدد الهائل افتتحت إسرائيل سجوناً مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب والذي افتتح عام 1988، وقد قتل من الإسرائيليين160 قتيلاً بينهم خمسة أطفال.

حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأميركي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت إسرائيل أن للاحتلال تأثير سلبي على المجتمع الفلسطيني، كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم من الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء شامير بحثه عن أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين. أدت هزيمته إلى خلال من الإسرائيلي مما يعني نهاية تهديد محتمل من" الجبهة الشرقية" واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، ومما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً لحلفائها الأوروبيين والعرب وبين جورج بوش استخدام نتائج حرب الخليج كنقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية والدول العربية ولإسرائيل للتشاور إلى مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل حول حكم ذاتي. تم إجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين والتي أدت لاتفاق أوسلو الذي أدى إلى انسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدأً بغزة وأريحا أولاً، 1994، وتواصل مع باقي المدن باستثناء وقلب مدينة القدس وقد تم الإعتراف بحق إسرائيل ، مما يتنافى مع الاتفاق.

كان قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات بالوجود ، المقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية في المقابل تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل الشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة عام اسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة. في سبتمبر من عام 1995تم توقيع اتفاقية جديدة سمي بأوسلو 2 وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل اي وهو هيئة حكم المجلس الوطني 20 كانون سنة 1995 تم إجراء أول الانتخابات الرئاسية والتشريعية عام 2004 للسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية في خمسة مجالات محددة (التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، السياحة ثم الضرائب المباشرة). (الموسوعة الفلسطينية مج6 خاص ص 1006 شفيق الحوت وبيان نويهض).

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام 1999 ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهاء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو والشعور بخيبة الأمل؛ بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد؛ والتي توضح أن محاولة إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (1944، 338، 242) تلك إلى جانب عدم تطبيق إسرائيل إلى عدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوسلو، أو الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة . واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية، ورفض الإفراج عن الأسرى بالإضافة إلى استمرار بناء المستوطنات، واستبعاد عودة اللاجئين، واستبعاد الانسحاب لحدود عام 1967 جعل الفلسطينيين يؤمنون بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة، والمحادثات مضيعة للوقت. وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي؛ قام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق آرييل شارون باقتحام المسجد الأقصى وتجول في ساحاته، وقال إن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين، فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى فسقط سبعة شهداء، وجرح 250 وأصيب 13 جندي إسرائيلي. وكانت هذه بداية انتفاضة الأقصى[35].

بدأت الانتفاضة في 28 /9/ 2000 وتوقفت فعلياً في 2005/2/8 بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ، والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثاً ورئيس وزراء إسرائيل آرييل شارون . وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقاتها بالعنف المسلح

[35]: الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي، راح ضحيتها 4412 شهيداً فلسطينياً، وجرح 48322 جريحاً، وأما خسائر الجيش الإسرائيلي 334 قتيلاً، ومن المستوطنين 735 قتيلاً. ليصبح مجموع القتلى الصهاينة 1069 قتيل، و4500 جريح، وعطب 50 دبابة من نوع ميركافا، وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات. وتعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها باجتياحات إسرائيلية؛ منها عملية الدرع الواقي، وأمطار الصيف، والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات ، أحمد ياسين ، وعبد العزيز الرنتيسي ، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية ، تدمير مؤسسات السلطة تدميراً كاملاً إلى جانب ممتلكات المواطنين، واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.
- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المنافقة، وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين لخوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كماً ونوعاً، وفشل إسرائيل في قضائها على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضد المقاومة، وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية، وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وإبادتهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى. لكن مكرهم سيرتد عليهم والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين، وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

أ- انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية.

ب- ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.

ت- اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ث- إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.

ج- مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوز) في معركة مخيم جنين.

ح- تحطيم مقولة الجيش الذي لا يقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيه 58 جندي إسرائيلي وجرح 1422.

خ- ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية. لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييداً للانتفاضة، وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المنافقة لتخدير الناس ولا زالت.

الانتفاضة الثالثة (انتفاضة القدس لنصرة الأقصى)

حاولت وتحاول إسرائيل توظيف الصراعات العربية بعضهم ببعض فجمدت مفاوضات السلام التي نبذتها، ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها، وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها. ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ربيبة الاستعمار هذه الأيام، وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني نتنياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتآمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب، وتعاون مخابراتهم مع من يكرهون شعوبهم إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتهم بالإرهابيين، فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها، وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين بزيادة نهب الأراضي، ونسف البيوت، ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة، حتى سكان 1948 لم يسلموا من التنكيل باعتبارهم عرب، وأطلقت العنان لعصاباتها من المتشددين العبث بأملاك وأرواح عرب فلسطين؛ بغية تطفيشهم من حرق بيوت مع ساكنيها، وحرق شجر الزيتون، وقطع أشجار الفواكه، وتجريف التربة، والاعتقال المبرمج للنشيطين، آخرها يوم الجمعة في 14/تموز/2017 إغلاق المسجد الأقصى المبارك؛ الذي يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين، وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين، وتصميمهم في تهويد كل فلسطين. والأمم المتحدة خانعة لا تقوى على نصرة المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية. والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد إسرائيل على ما تقوم به ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً. وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحدياً سلطات الاحتلال، والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه، واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة طالبين الشهادة، وليبرهنوا للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد. وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف بإصابات من قنابل الدخان، والرصاص المطاطي، والاعتقالات، ومضاعفة الجرحى، وشعب القدس صامد ووراءه أهله في فلسطين. لم يعرف الغرب بعد بأن الصهيونية باتت عبئاً عليهم وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم، ودورها باحتلال الكونغرس، والبنتاغون ثم البيت الأبيض هذه الأيام. إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان، ويبقى التغيير بالنظم الظالمة حاصلاً؛ ليحل العدل والمساواة، ولنبذ الظلم، وتحقيق العدل الذي هو سمة البشر.

المصادر والمراجع

- الموسوعة الفلسطينية عام مجلد 3 ص 589.
- الموسوعة الفلسطينية عام مجلد 3 ص 590.
- www.ansabe.com/vb/148079/net
- الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 1 ص217 د. عادل عبد السلام.
- الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 1 ص 427 إسحاق قطب.
- الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد (1) ص 428 إسحاق قطب.
- الموسوعة الفلسطينية مجلد عام 3 ص 44.
- الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 2 ص 938 عبد الكريم رافق.
- الموسوعة الفلسطينية عام مجلد 3 ص 589.
- موسوعة الموسوعة www.alburayj.com
- جريدة فلسطين 1947/12/10م.
- الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 3 ص 270 محمود زايد.
- الموسوعة الفلسطينية مجلد ص 590.
- موقع فلسطين في الذاكرة، الرابط:

mailto:http://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Qalqiliya_1475/ar/Picture_19186.html

- الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 4. فكتور سحاب.
- الموسوعة الفلسطينية خاص مجلد 4 ص589.
- الموسوعة الفلسطينية عام مجلد (1) ص635.
- موقع فلسطين في الذاكرة http://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Qalqiliya_1475/Article_7930.html
- أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير. مروان الماضي.
- الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص ص 346 حسن عبد القادر صالح.

الفهرس

الإهداء 2

مقدمة الناشر 3

تقديم 4

مقدمة 5

الفصل الأول: مدينة قلقيلية 7

الموقع وأهميته..... 7

أصل التسمية 7

تضاريس منطقة قلقيلية 8

الثروة المائية 13

مناخ المنطقة..... 22

العمران..... 23

الفصل الثاني: لـمـحة تـاريـخـيـة 25

الحقبة القديمة 25

زمن الرومان 25

تقسيم فلسطين زمن الرومان 26

العهد الإسلامي 27
التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي 27
زمن الدولة المملوكية 28
التقسيمات الإدارية في عهد المماليك الشراكسة 28
الفترة العثمانية 29
التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية 30
ملكية الأراضي وآثارها الاجتماعية في فلسطين 31
الزراعة في ظل الانتداب البريطاني 33
الانتداب البريطاني ودوره في تحقيق وعد بلفور 34
الزراعة في زمن الانتداب البريطاني 36
فترة الحكم الأردني 36
سنوات الاحتلال 37
السلطة الوطنية الفلسطينية 37
الفصل الثالث: التعليم والثقافة في قلقيلية 39
قرى لواء قلقيلية 41
الأعلام 42
أعلام قلقيلية (في موسوعة أعلام فلسطين) 45

المؤسسات التعليمية والثقافية والخيرية والإعلامية 53
المؤسسات التعليمية 54
المؤسسات الثقافية 55
أولاً: الجمعيات والروابط والنوادي في مدينة قلقيلية 1912م–1957م 55
ثانياً: مؤسسات السلطة الفلسطينية في قلقيلية 55
النوادي 56
الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية 57
الزراعة 57
السكان 61
الصناعة 63
التجارة 68
الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية في مدينة قلقيلية 70
الزواج 71
الفصل السادس: الشعر الشعبي والأمثال الفلسطينية 78
الغناء: مفهومه – وأنواعه في حياة سكان قلقيلية 80
في التقويم الشعبي 88
1–في الطقس وفصول السنة 88

2-الجيد والمكروه من الحيوان 92
الطب الشعبي 93
الفصل السابع: أحياء وعائلات ومعالم أثرية في قلقيلية 96
أحياء مدينة قلقيلية 96
عائلات مدينة قلقيلية 98
آثار قلقيلية 99
حديقة حيوانات قلقيلية 101
المراكز الطبية في المدينة 102
الأسواق 103
الفصل الثامن: مذبحة قلقيلية 105
معارك رامات هاكوفيتش 106
الفلسطينيون بعد النكبة 111
الفصل التاسع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 123
الفصل العاشر: ثقافة المقاومة السلمية 130
التمثيل والمسرح 138
الفصل الحادي عشر: انتفاضات الشعب الفلسطيني 144
الانتفاضة الأولى والثانية 144

الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) 144
الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) 146
الانتفاضة الثالثة (انتفاضة القدس لنصرة الأقصى) 148
المصادر والمراجع 150
الفهرس 151

نبذة عن المؤلف

الشهادات التي يحملها المؤلف:

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا /يونيسكو.
- شهادة تربية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي، ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرباً للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة.
- موجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- موجهاً لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية.

من مؤلفاته:

1- بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).

2- مدينة عكا.

3- قرية إجزم.

4-أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.

5-الإدارة الأميركية المحافظة تسيس نبوءات التوراة.

6-الإمبريالية المتصهينة التمييز العنصري.

7-مذكراتي.

8-أبحاث قيد النشر

قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدنا بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت إمرالخليل
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
أولي الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل

حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس
عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا